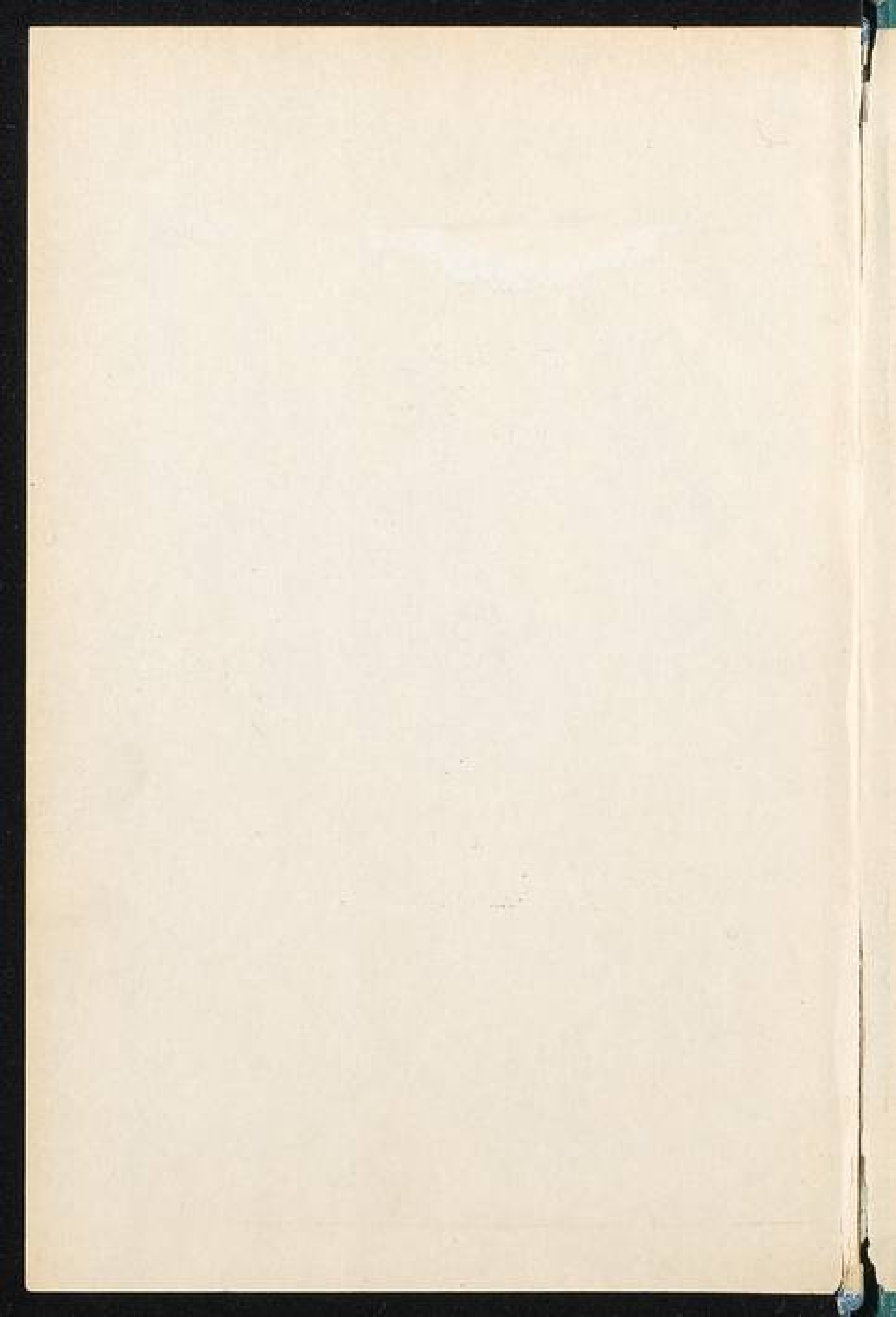








Kushājim, Maḥmūd
Kitāb adab al-nudamā'

كتاب

ادب الندماء ولطائف الظرفاء

تأليف

الكاتب البليغ والشاعر الناثر المجيد

ابي الفتح محمود بن كشاجم

لا زال منهلا عليه احسان ربه الدائم

ويليه شرح وتشطير قصيدة ابي فراس الحمداني لفظاً ومعنى

طبع على نفقة حضرة

علي افندي محمود الحطاب

الكتبي الشهير بجوار جامع الشيخ
بشارع الميدان بالاسكندريه

بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندريه سنة ١٣٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وجل ثنائه . والصلاة والسلام على صفوة انبيائه (اما بعد) فقد عنَّ لي ان أجمع هذا الكتاب واهذبه وارتب مواضيعه وابوبه واوفي كل معني فيه حقه وأضم الى كل شكل شكله واجمع الى ما تستطيبه القريحه احسن ما وجدته في هذا المعنى متفرقاً في امثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء واخبار الظرفاء وأودعه من أدب النديم ما لا يستغني عنه شريف ولا يجوز ان يخل به ظريف ليكون منهجاً واضحاً لمن نظر فيه . واما ما يقتدى به من وقع اليه واسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته

باب مدح النديم وذكر فضائله

وذم المنفرد بشرب النبيذ

(اخبرني) جماعة من الموثوق بهم في اللغة ان العرب انما سمت النديم نديماً لانه يندم على فراقه وفخر امرؤ القيس مع شرفه وملوكيته بالندم فقال

ونادمت قيصر في ملكه　　فاوجهني وركبت البريدا

وقال المتقدمون كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقالوا اذا اوليت عملاً فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكتابك واستعقل حاجبك فانه يقضي عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستظرف نديمك فانما يزنك الداخل اليك بثقال من يراه معك · وفاخر كاتب نديما فقال انا معونة وانت مؤنة وانا للجد وانت للهزل وانا للشدة وانت للذة وانا للحرب وانت للسلم وانا للنعمة وانت للخدمة وانا للحظوه وانت للمهنة

تقوم وانا اجلس وانت تحتشم وانا مؤانس تداب لراحتي وتشق لسعادتي فانا شريك وانت معين كما انك تابع وانا قرين الا ان بعض البخلاء يقول

اذا وجدت المدام فاغن بها عن كل من في ندامه سخف
في شربها من ندمه خلف وليس فيه من شربها خلف
فلا يشاركك في السرور بها مشارك كل شركة اسف

فما زاد بهذا القول على ان بين مكانه من البخل والجهل بل هو في ذلك كما قال ابو نواس . حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء . ولعمري ان للنبيذ الفضائل التي لا تدفع والخصائص التي لا تجحد والقوى التي لا تعكس الاضداد وتعدل المزاج وتصحح الطباع وهو الموصوف بتشجيع الجبان وتقوية الجنان واطلاق اللسان وتبسيط البنان الا ان فيه بازاء هذه الخلال اشياء تقدح في محاسنه وتبين عن معايبه منها ان صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكلح عند شمه ويغتم ان يفضل في قدحه ويكثر عتاب ساقيه ويعاقر عليه ويمزجه ليغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه . ويستعيذ بالنقل بعده

ويعاني من الدوار والخمار ما لا خفاء به حتى لقد قال بعض الادباء لو ان الخمور يعلم قصته لقدم وصيته ثم السكر هو اكبر عيوبه حتى ان الملل كلها مجتمعة على تحريمه غير مختلفة فيه وحتى لقد حرم الخمر في الجاهلية جماعة من كبراء العرب وافاضلهم لما نالهم من معرة السكر منهم قيس بن عاصم السهمي وعامر بن لظرب العدواني وعفيف بن معد يكرب ومقيس بن صبابة السهمي وعبدالله بن جدعان وكثير من هذه الطبقة نكره الاطالة بذكر اسمائهم فلقيس بن عاصم في تحريمها

رأيت الخمر مصلحة وفيها خصال تفسد الرجل الكريما
لان الخمر تفضح شاربيها وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا دبت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال مقيس بن صبابة

رأيت الخمر طيبة وفيها خصال كلها دنس ذميم
ولا والله اشربها حياتي طوال الدهر ما طلع النجوم

فاما مقيس بن صبابة فانه سكر فجعل يخط ببوله

ويقول نعامة او بعير فلما افاق اخبر بذلك فحرم الشراب ·
واما عبدالله بن جدعان فانه سكر وجعل يساور القمر فلما
اصبح وخبر بذلك حرمه ايضاً (وقيل) لاعرابي تشرب
النبيذ قال اشرب ما يشرب عقلي · وقيل لباذرق لمَ تركت
النبيذ فقال رأيت صاحبه لا يروى منه ووجدت بعضه
يدعو الى بعض فتركت قليله لكثيره · ومنهم من كان يشربه
للشهوة الغالبة فقط ولا يبالي على اي الحالات شربه منفرداً
وحده او مجتمعاً فيه مع غيره جماعة لا يهتمون في عقل
ولا رأي الا ان افراطهم في هذه الشهوة ابطلهم وغلب
عليهم ففسدت حال دنياهم ودينهم منهم ابو المندي شبث
بن سيار ربعي التميمي ومر به نصر بن سيار الليثي وهو يميل
سكراً فقال افسدت شرفك فقال لو لم افسد شرفي لم
تكن انت والى خرسان · وحادثة بن بدر الغداني وكان
غلب على زياد وغلب الشراب عليه فعوتب زياد في
الاستئثار به فقال كيف اطرح رجلاً وهو يسايرني منذ
دخلت العراق فلم يصطك ركاباه بركابي ولا تقدمني

فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ
على الشمس في شتاء قط ولا سألته عن باب من العلم
الا ظننت انه لا يحسن غيره · والوليدين عقبة وكان اميراً
على الكوفة فصلى عليهم صلاة الفجر ثلاثاً ثم التفت اليهم
في وقت التسليم فقال احسبكم وازيدكم · وابو محجن الثقفي
وكان محرباً مغرماً بالشراب وله مع سعيد بن ابي وقاص
في الشراب اخبار يطول شرحها ومن لم نذكر اسماءهم من
هذه الطبقة كثير فاذا كانت هذه صورة النبيذ فانما يغتفر
له ما ذكرناه ويتجوز فيه ويتجافى عنه لما بنى عليه وجعل
سبباً اليه من اجتماع الشمل وأنس المنادمة واريحية المذاكرة
ولو انفرد النبيذ بنفسه وحصل عليه وحده دون النديم
المساعد والسماع المطرب لكان الوعاء اولى به فقد تبين
بهذا ان العقار افضل من العقار والنديم فائدة المدام
وانشد لي منشد

لم يكن بيننا رضاع ولكن ... ولدت بيننا المدام رضاعا
ان يكن اول المدام رضاعا ... او يكن آخر المدام صداعا

فلها بين ذا وذاك هنات　　وصفها بالسرور لن يستطاعا

ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين

أرى للكأس حقا لا اراه　　لغير الكأس الا للنديم

هو القطب الذي دارت عليه　　رحى اللذات في زمن القديم

فاما ابى النواس امير هذا الشان وفارسه

خلوت بالروح اناجيها　　آخذ منها وأعاطيها

نادمتها اذ لم اجد مسعدا　　ارضاه ان يشركني فيها

فهذا بعد انما يدل على فضل النديم وانه لم يتفرد بالنبيذ مختارا وانما توجد به ضرورة لقوله انه لم يجد نديما مرتضى او ليس هو القائل

الروح طيبة وليس تمامها　　الا بطيب خلائق الجلاس

ولم تفتتح ابيات في مدح نديم احسن من قول ابى مسهر الطائي

وندمان يزيد الكأس طيباً　　سقيت وقد تغورت النجوم

وللمطوى اشعار كثيرة في الندام كلها مختارة فمنها

يقولون قبل الدار جار موافق

وقبل الطريق النهج انس رفيق

فقلت وندمان الفتى قبل كاسه

وماحث سير الكاس مثل صديق

وقال ايضاً

الروح والندمان احسن منظرا

من كل ملتف الحدائق رائق

فاذا جمعت صفاءها وصفاءه

فاقذف بكل ملمة من شاهق

ولقد ملح عصابة الجرجراني في قوله

اقرا السلام على الامير وقل له   ان المنادمة الرضاع الثاني

باب اخلاق النديم وصفاته

وليس احد من اصحاب الملوك وخلطائهم هو اولى باستجماع محاسن الاخلاق وافاضل الآداب وظرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه ليحتاج ان يكون فيه اشياء

متضادة فيكون فيه مع شرف الملوك وتواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها في حال لا يحسن ان يخل بها فيها ووقت لا يسعه العدول عنها والى ان تجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يبلوه من اخلاقه ويعلم من معاني لحظه واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته والافصاح به فيسبقه الى شهوته ويبدره الى ارادته كما قال بعض الكتاب

ونديم حلو الحديث يجاريـ ـك بما تشتهيه في ميدانك
المعى كأن قلبك في اضـ ـلاعه او كلامه بلسانك

ومن صفة النديم ان يجمع الى الصبر على مضض الجوع احتمال كظة الازدياد على الشبع لانه مدفوع الى مؤاكلة احد رجلين اما سخي شديد المحبة لانه يؤكل طعامه فيطالبه بالاكثار ومساعدته عليه ومساواته فيه فاذا فعل ذلك حظي عنده وقرب من قلبه بالمشاكلة فان قصر أنزل ذلك منه على التبجيل له وتعمد التنغيص عليه فيكون حاله كحال محمد

بن عبد الملك الزيات فانه قال أعين عليَّ احمـد بن ابي داود باشياء لم أعن عليه بمثلها حتى انه أعين عليَّ في تمكن حاله عند الواثق بانه كان طيب الاكل طحون الدرس هضوم المعدة وكنت على خلاف ذلك فحضرته يؤاكل الواثق وليس معهما ثالث ودعاني الواثق الى الطعام فاقبلت انفر على حسب عادتي وخمود شهوتي وهما يتباريان في تكبير اللقم وجودة الاكل فلما رأى احمـد ذلك مني قال يا امير المؤمنين ما جلوس هذا المحتمي معنا يحصي علينا اللقم اما أكل كما نأكل فوافانا حق المؤاكلة ولم يحشمنا او نهض فتفرد بمؤاكلة امير المؤمنين من يحسن حضورها ويقابلها بما يشبهها فقال الواثق قد صدق احمد فكل اودع فما تمالكت ان نهضت. او لئيم طعامه عنده بمنزلة سمعه وبصره فان اسرع فيه او تناول اطايبه فكأنما يأكل من جوارحه فهو مضطر الى ان يجاهد نفسه ويغالب طباعه حتى يألف هاتين الحالتين ويجري على هاتين العادتين فيكون حينئذ أتم في الندم واقهر لسلطان الشهوة ممن يعتمد على تقديم الاكل في منزله

ويتعلل بمثل ما رأينا من المترسمين بالندام يستعملونه من اتخاذ المخازن مملوءة ادهانا في خفاف غلمانهم او اللفات مدرجة في المناديل اذا امكنهم ذلك فاذا فضهم الجوع وشحذهم الشراب تغنموا الغفلة وانتهزوا الفرصة فتناولوا ما اعدوا من ذلك في الخلوات وربما كان في المذاهب وما اشبهها من المواضيع الخسيسة وكل ذاك قبيح جداً وفيه اشياء مذمومة منها انه لا يؤمن ان يطلع عليها بعض حاشية المنادم فينهيها اليه فيوغر بقلبه ويحفظه ويرى انه في ذلك الفعل قد هجاه وبخله لانه ليس كل ذي خلق دنيء يعترف به من نفسه بل كثير من ذوي العيوب يعمى عن عيوبه او يعذر الموضع الذي يؤخذ مثل ذلك فيه فينال جسمه من الضرر بمفارقة العادة وفقد النفس شيئاً قد تطلعت اليه وتشوقت له اما بعلة او مرض او يحلفه رئيسه ويقسم عليه ان لا يأكل الا معه فيضمن له ذلك ويعده به ويخالف فيكون قد خان ونكث . وكان عيسى بن جعفر الهاشمي يفعل هذا مع الرشيد كثيراً وكان الرشيد يثابه عليه ويذمه ويبكته به فمن

ذلك انه قال في بعض العشيات والجماعة من جلسائه قد اشتهيت ان آكل في صبيحة غد هريسة وقد تقدمت باتخاذها ولا يخلط بها غيرها فاعملوا على البكور واجعوا الشهوة ووفروها على الهريسة وكان بعضهم ملازماً لعيسى خصيصا به فحكى انه غلس الى منزله ولم يكن يحجب عنه فالقى عيسى جالساً بين يديه بقية شمعة وطبق كبير عليه طيفوريتان احدهما مملوئة هريسة وفي الاخرى ثلاثة غضارات صينية فيهن مري ودار صيني وفلفل ورقاق لطاف لا تفضل عن الكف وهو يأخذ الرقاقة فيملؤها ثم يمرها على تلك الغضارات ويزدردها قال فقلت يا سبحان الله انسيت ما اتفقنا عليه مع امير المؤمنين فقال لا تعجب فهذه الطيفورية الثالثة فامسكت يده وجذبت الطبق وجبرته على غسلها وركبنا فوافينا امير المؤمنين جالسا على حصير الصلاة حين لتنفل من صلاته وهو يستتم تسبيحه وروائح الهريسة قد ملأت الدار فقال لقد ابطاتما ودعا بالطعام فاحضر فاندفع عيسى يأكل كانه لم يذق شيئاً منذ ايام فلم اتمالك ان ضحكت فقال الرشيد ما هذا قلت

لاصدقن امير المؤمنين عن خبر عيسى قال ايه قلت كان
عن امره كيت وكيت قال اتواني شككت في انه يفعلها
اعلم انه لولم يفعل لاكلني واكلك . فاما العبث والمزاح فله
من المنادم موقع لطيف ومحل خصيص اذا تبين النديم منه
نشاطاً لذلك وقال قائل للمامون اياذن امير المؤمنين في
المداعبة قال وهل العيش الا فيها (وقدم) العتابي عليه
وعنده اسحق بن ابراهيم الموصلي فسلم ورد عليه وجلس
واقبل يسأله عن حاله ويجيبه بلسان طلق فاستظرفه واخذ
معه في مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال يا امير
المومنين الايناس قبل الابساس . ثم اخذوا في المفاوضة
والحديث . واغرى المامون اسحق بالعبث بالعتابى فاقبل
يعارضه في كل ما يذكره ويزيد عليه فعجب منه ثم قال
اياذن امير المومنين في مسئلة هذا الانسان عن اسمه ونسبه
قال افعل فقال العتابي ممن انت وما اسمك قال انا من
الناس واسمي كل بصل فقال العتابى اما النسبة فمعروفة
واما الاسم فمنكور وما كل بصل من الاسماء قال اسحق

بما اقل انصافك وما كلثوم من الاسماء البصل اطيب من الثوم فقال العتابي لله درك .ا ارجحك ما رأيت يا امير المؤمنين كالرجل قط افيأذن لي صلته بما يصله به امير المؤمنين فقد والله غلبني فقال المامون بل هو موفر عليك ونأمر له بمثله ونهضا فانصرف اسحق بالعتابي الى منزله ونادمه بقية يومه . ومما يزيده في المحل تقدماً وعند ملكه ورئيسه تعظماً وتمكناً ان يكون عالماً بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجوهر النفيس والآلات المحكمة وانواع الطيب والفراش الى غير ذلك من الخيل والسلاح وسائر ما يهدى منه الى الملوك في مجالس لذاتهم وتعرض عليهم اوقات نشاطهم فمن ابرد من النديم مجلساً او اكسف منه بالاً اذا عرض على الملك شيء من هذه الاعلاق فاعتمد فيها على معرفته واستعان على تخيرها ببصره ورجع في استفادتها الى نظره وتلقيه فلم يحر جواباً في ذلك ولم يحط بشيء منه علماً . ويستظرف منه ان يصف اللون الغريب من الطبخ والصوت البديع والشعر الشجي واللحن من

الغناء ورأيت الملاح من هذه الطبقة يقولون ان من ينشد عشرة اصوات ويحكم من غرائب البطيخ عشرة الوان لم يكن عندهم ظريفاً كاملاً ولا نديماً جامعاً ولفتى من الكتاب في هذا المعنى

تعالوا الى الخل الذي لم يزل بكم
يطول على ريب الزمان ويشمخ
فقد حصلت عندي لكم فتعجلوا
ثلاث دجاجات سمان وافرخ
وراح وريحان ومسك وعنبر
نبخر احيانا به ونضمخ
ومسمعة كالبدر يشدو بصارخ
تهادى القلوب نحوه حين يصرخ
وها أنذا طباخكم ولربما
رأيت ظريف القوم يشدو ويطبخ
سوى انه لا يقطع اللحم كفه
ولا هو ان لم توقد النار ينفخ

واني لاستخذي لاهل مودتي

وازهى على اهل المعالي وابذخ

ولا يستحق النديم هذا الاسم حتى يكون له جمال ومروءة اما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه واما مروءته فكثرة حيائه في انبساط الى جميل ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه في غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وقيل للعتابي ما المروءة قال ترك اللذة قيل له فما اللذة قال ترك المروءة

﴿ باب التداعي للمنادمة ﴾

قد آثر بعض الظرفاء من اسقاط التصنع في هذا الباب ما هو اليق بالموءانسة وانفى للانقباض والحشمة ولو لم يكن في الاحتفال من النقيصة والاقتضاب من الفضيلة الا ان المحتفل قد ضيق العذر على نفسه في تقصير ان كان منه والمقتضب مغتفر له ذلك لكفى به (وروى) ان رجلا دعا امير الموءمنين على بن ابي طالب عليه السلام فقال آتيك

على ان لا تدخر عنا ما عندك ولا تتكلف لنا ما ليس في وسعك (وقال) المامون لجعفر بن سليمان الطيب والطعام لا يزيدني في جودتهما كثرة الانفاق عليهما ولكن اصابة المعنى وكتب الي صديق لي .

قم بنا نقتضب صبوحا مليحا
يسعد الله لي بك اليوم جدى
لم ابيت له اعتزاما ولا قا
ت غداكن فدتك نفسي عندى
فهوا طيبا وموقعا لحبيب
جاءني زائراً على غير وعد

(وحدثني) بعض شيوخنا عمن حدثه ان ظريفا من الكتاب احسبه الحسن بن سهل بلغه ان عبدالله بن يزيد عشيق ابي تمام الطائي الذي يقول فيه

يا سمي النبي في سورة الجن ويا ثاني الولاة بمصر

احتفل لدعوة دعاها احتفالاً شديداً وتعمل لها حتى

اشتهر امرها قبل وقوعها فكتب اليه اما ارتفعت عن
تنبيت الدعوات بعد (ودعا) محمد بن عبدالله بن طاهر
رجل من اصحابه دعوة تقدم فيها فاحتفل لها فلما حضر محمد
طالبه بالطعام فماطله ليتكامل ويتلاحق على ما احبه من
الكثرة والحفلة حتي تصرم اكثر النهار ومس محمدا الجوع
فتنغص عليه يومه واراد محمد سعرا فشيعه هذا الرجل حتى
اذا دنا منه ليودعه قال له ايأمر الامير بشيء قال نعم تجعل
طريقك في عودتك على محمد بن الحرث بن شخير فاسأله ان
يعلمك الفتوة فمضى حتي دخل الى محمد بغتة فقال له
بعثني اليك الامير لتعلمني الفتوة فضحك وقال يا غلام هات
ما حضر فاتى له بطبق كبير عليه ثلاثة ارغفة من انظف
الخبز وانقاه وسكرجات مري وخل وملح من اجود ما يتخذ
من هذه الاصناف وابتدأ يأكل فضيلة باردة من مطبخه
وتداركها الطباخ بطباهجة ووافاه من منزل حرمه فضيلة
اخرى واهدى له بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له خفيف
ظريف في زمان يسير وبغير احتشام وانتظار (وسمعت)

بعض الاغنياء يعتذرون من ترك التحفل بعذر ما حسن الاعتذار قط الا من مثله وذاك انه قال ما يمنعني من الاحتفال الا الاستظهار فقلت له وكيف ذلك قال اكره ان احتفل فيتأخر عني من ادعوه اما عن عمد او عائق فاكون قد تكلفت ما لم ينتفع به فقال في ذلك بعض اخوانه

اذا كنت لا نوع الاحتفا ل الا لانك تستظهر
فـلا تدعون احـدابتة فهذا هو النظر الاوفر
ولا سيما انا من بينهم فاني وحقك لا احضر

(وكان) آخر لا يشرع في شيء من آلة الدعوة حتى يحضر اخوانه ويأمن تأخرهم فحينئذ يأمر باصلاح ما يحتاج اليه على مقدار قد عرفه فلا يلحق طعامه حتى يتصرم يومهم وتضطرم نار الجوع في احشائهم فقال فيه بعضهم

خاف الضياع على شيء يعجله من المطاعم اذا اخوانه ثقلوا
فليس تعلو على الكانون برمته حتى يرى انهم في البيت قد حصلوا

(وخبرني) بعض من اثق بصدقه عن بعض البخلاء انه دعا

قوما فابتاع لهم جديا واشفق من ان يذبحه فلا يحضروا فيخسر الجدي
فنوره وعمل على انهم ان حضروا ذبحه واحضره كهيئة المسموط
وان تاخروا استحياه ولم يذبحه وليس هؤلاء بافراطهم في هذا
الاستظهار القبيح والنظر الرقيق باذم ممن يدعي فيجيب
ويحصل ذلك على نفسه ويوثق منه بالوفاء به ثم يتثاقل
عن الداعي الملهوف حتى يجيعه ويجيع اخوانه ويثلم عليه عمره
ويبرد عليه طعامه ويردد غلمانه ويطيل التشوق اليه فجزاء
هذا عندي بعد الاستظهار عليه بالحجة واعادة الغلام اليه
بالرسالة أن يستاثر اخوانه بالمؤاكلة دونه متعمدين بذلك
الاستخفاف به ليؤدبوه ان كانت به مسكة وينبهوه ان
كانت له فطنة وقد جاء في الخبر المأثور في اجابة الدعوة
وترك التاخر عنها ما جرى مجرى الفرض الواجب وهو قول
النبي عليه السلام من دعي الى طعام فليجب فان كان
مفطرا فلياكل وان كان صائما فليصل والصلاة هنا الدعاء
مثل قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا أي لا تدع
لهم ولا تترحم عليهم فاذا كان الصائم قد أمر بالحضور

فكيف بالمفطر ومن قد اجاب ونالني ذلك من فتى تياه فكتبت اليه

تاخرت حتى كددت الرسول وحتى سئمت من الانتظار
واوحشت اخوانك المسعدين وفجعتهم بشباب النهار
فان كنت تأمل أن لا تسب فانت وحقك عين الحمار

وكان يقال ثلاثة تضني سراج لايضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر بها من يجيء وقال آخر المودة شجرة ثمرتها الزيارة وقال آخر المودة روح والزيارة شخصها * وكتبت الى صديق لي دعوته فتثاقل عني واعتل بعارض علة

يابي أنت تباغضت وما كنت بغيضا
جاءني منك جواب كان للعهد نقيضا
أنت لم تمرض ولكن احسب الود مريضا
ولقد فاتك لهو لست منه مستعيضا
ومدام شاكلت في الـ ـكاس ياقوتا نضيضا
وحديث ونشيد شاب نحوا وعروضا
وغريض من غناء فاق في الحسن الغريضا

وكتبت الى آخر

كتبت وعندنا روح وراح | واخوان تحبهم ملاح
وبيضاء السوالف ذات عود | يناغيها ثمانية فصاح
واحور من ظباء الروم ساق | كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحا | ولكن ماالموعده نجاح
له طرر تصف على جبين | كمثل الليل قابله الصباح
تحلى بالمناطق وهو غن | يليق به القلائد والوشاح
وساطعة الشعاع رضاب نحل | حلال الشرب ليس بها جناح
وللوسمى بالقطر ابتدار | وللشرب ابتهاج وارتياح
شرابهم سرور وادكار | وشدوهم اختبار واقتراح
وبين الضرب والاوتار حرب | وبين الناى والراح اصطلاح
فزرنا غير محتشم تزرنا | بزورتك المكارم والسماح

(ومر) بعض النبيذيين بجدى سمين فقال ليت شعرى لغلمان من هذا فسئل عن معنى قوله فقال يؤخر اصحابنا الجدى فلا نصل اليه وفينا فضل له ويفوز الغلمان به

(وخبرت) ان بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه

من الطعام في وقعة ويعرض عليهم فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه * وروى ان زيادا كان يقول ما انفردت برغيف قط حتى يشركني فيه غيري ولا اكلت طعاما قط الا بشهوة من يكون معي وانا ارى ان بغتني الزور وفاجاني الصديق ان اشافهه بوصف شيء ان كنت تقدمت باصلاحه وان قل واشهيه ولا أحتشم ان اقترح متعذرا ان اونسه وأقترح في منزل صديقي ولا اسومة ما اعلم ان حاله لا يحققه فان استدعيت من الطباخ شيئاً عرفته بالالف واللام ولم اجعله نكرة كما يحكي عن بعض المتكبرين من الموهين ودعا قوما فقال لغلامه في آخر طعامه هات حلوا ان كان عندك فقال له الغلام وكان عليه مدل لا ما عندي الا الفالوذج الذي عقدته بيدك * ودعا رجل رجلاً فقال له هل لك ان تصير معي الى المنزل فتاكل خبزاً وملحاً فظن الرجل ذلك القول منه على المجاز فمضى معه فلم يزده على الخبز والملح شيا فبيناهما يا كلان اذ وقف سائل بالباب فرده صاحب المنزل مرارا فلم يبرح والح فقال له ان انصرفت والا خرجت

اليك فهمت فاك قال فقال له المدعو ياهذا انصرف فانك لو عرفت من صدق وعيده ما قد عرفت من صدق وعده ما تعرضت له

❋ باب الشرب وكثرتهم وقلتهم ❋

فاما كثرة عدد الشرب وقلتهم فهم يسمون الاثنين منشاراً ويكرهونهما وكان الثلاثة اتم مجلساً لان الاثنين ينهض احدهما لبعض شأنه فيجم الآخر وينفرد وربما عرض له الفكر فلا يكون لحسبه من تخلفه في موءانسة وليس كذلك امر الثلاثة وعندي الاربعة احسن لان الثلاثة اذا اشتغل الاثنان بالحديث لا يعرف الثالث سببه وابتداءه تحشم لا محالة ويمقت نفسه والاربعة يتكافوءن فهم اركان المجلس وفي الاربعة يقول بعض الكتاب

ثلاثة اصفيتهم هوائي كأنهم كواكب الجوزاء
عطارديون ترون رائي كأنما هواوءهم هوائي

وانما ذكر ثلاثة هو رابعهم وقال اخر

ثلاثة جمعوا الي في ثلاثة مني … وكنت رابعهم يوم الثلاثاء

وقال اخر في الثلاثة

اخالك تدعونا اذا ما دعوتنا … دعاء يهود مسبتين على نهر

فلا خير في الندمان الا ثلاثة … سواء كامثال الاثافي من القدر

وقال اخر في وصف الندامي من واحد الى سبعة

ان المعاقر كأسه متفرداً … من صحبه نحس لئيم ارجس

واثنان يشتد الندام عليهما … وثلاثة بهم يطيب المجلس

ولقد يلذ حديث اربعة لهم … فيطيب مجلسهم معا والانفس

والغايه القصوى اراها خمسة … في دورهم نفس لمن يتنفس

واذا هم كثروا فصاروا ستة

عطشوا لحبس الكاس ساعة يحبس

واذا تجمع سبعة في مجلس

سنحت لهم دون السعود الانحس

وظللت في سوق المراء معسكرا

وترى حلومهم بجهل تخلس

ويجوز المعاشرون في الطعام ولا يحملون كدر الشراب

وغلظه ويسير الرائق الجيد من الشراب يعفي على مقصر الطعام ومكثير من غلظ الشراب يفسد كل ما يولع فيه من شريف الطعام وزمان المشاربة اطول من زمان المؤاكلة

وقال الحسن بن هاني في مدح رائق الشراب وذم غليظه

من شراب كأنه نظراً امه شوق في وجه عاشق بابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الوليد بن عبد البحتري

تركت مشمس قطربل وجرعتنا دقل الدسكره
اذا صب مسودة في الاناء فكاس النديم به محبره

وقال علي بن العباس الرومي

علني احمد من الدوشاب شربة نغصت سواد الشباب
لو تراني وفي يدي قدح الدور شاب ابصرت بازيا وغراب

ولي في هذا المعنى

لابي الفضل شراب جيد ليس يعاب
هو في حال طعام وهو في اخرى شراب

باب السماع

فاما السماع الطيب فلو اقتصر به عليك داعيك من دون كل مأكول ومشروب لقضى حقك واحسن معونتك وتعويضك ويشهد بتحقيق ذلك خبر الداعي في البيتين اللذين سمعه سامع يتغنى بهما وهما

وكنت اذا ما زرت ليلى بارضها
اری الارض تطوی لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما قضت احدوثة لو تعيدها

فاطربه واعجبه حتى مال اليه فاستدعاه فاعادهما وقال والله لو كان عندي قرى ما اعدتهما وقال آخر

لابي جعفر سماع عجيب   جميع اللهو فيه والاطرابا
فالندامى به غنيون عن ان   يبتغي مطعماً لهم وشرابا

وذلك ان الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم كما ان لذة المأكول والمشروب تخص

الجسم دون النفس (قالت) الحكماء الغناء فضلة في المنطق اشكلت على النفس فاخرجتها الحانا فاقول انها الى الالحان اميل اذ كانت هذه سبيلها اشد اصغاء منها الى ان قد تميز لها وصح معناه عندها من سائر منطقها حرصا على معرفة غامضها وشوقا الى استفتاح منغلقها وهي الى تعرف ما لم تعرف اتوق منها الى ما قد عرفت وكذلك المثل العجيب والبيت النادر كلما دق معناه ولطف حتى يحتاج الى اخراجه بغوص الفكر عليه واجالة الذهن فيه كانت النفس بما يظهر لها منه اكثر التذاذاً واشد استماعاً مما تفهمه في اول وهلة ولا يحتاج فيه الى نظر وفطنة وليس الا اشرفها وبعد غايتها (فاقول) ايضاً كما ان الالحان اشرف المنظوم فكذلك النفس الطروب اليها المستخف لها اشرف الانفس وكل ذي ذهن لطيف ونفس فاضلة احرص على السماع واحن اليه بالمشاكلة

(وكتبت) الى بعض من كان يزهد في السماع

ان كنت تنكر ان في الالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التي هي ويك اغلظ منك طبعا

تصغي لاصوات الحـدا ة فتقطع الفلوات قطعـا
ومن العجائب انهم يظمونها خمسا وربعـا
فاذا توردت الحيـا ض وشارفت في الماء كرعا
وتشوقت للصوت من حاد تصيخ اليه سمعـا
ذهلت عن الماء الذي تلتـذه بردا ونفعـا
شوقا الى النغم الذي اطربنها لحنـا وسمعـا

وحتى اذا امتعك بسماعه واشركك في اخص لذاته وسوى بينك وبينه في استماع نغمه من لعله يغار عليه من ظله ان تجعل ثوبه على هذه التكرمة غض طرفك عن الجهة التي تلي الستارة والناحية التي تأتي منها النغمة حتي لا يكون باطن الستارة باخفى عنك من ظاهرها ولا تحتاج ان يخرج بك الطرب عن حد الحرية والادب فتلج بالاقتراح وتحقق بالعلم بالغناء والحذق بالاعراب فتتبع العثرة وتترصد الهفوة فان سمعت مجازا لحنته وان مر بك زحاف عيرته ووزنته وقد قيل النصح بين الملا تقريع ومن قل علمه كثر وده والعربية اكثر من ان يخطيء فيها متكلم وانفس

القينات ابية ومعهن انفة وحمية فمن استعمل معهن هذا فهو ابدا عليهن ثقيل وعندهن مقيت لا يعدم ان تراقبه الواحدة وتكايده فتمالل ان حضر وتعدل عما استحسن فتقطع الصوت عند انتحائه وتتربص بجيد الغناء لانصرافه ولبعض اصحابنا في غض الطرف عن الستارة

انى على ما فيَّ من — عهد الشبيبة والنضارة
لاغض من طرفي وياً — منني النديم على الستارة
واعف خلق الله عن — جار اصافيه وجاره

(وكتبت) الى بعض اصدقائنا وكان له سماع مطرب وغيرة مفرطة

ان شئت فاستر على سماعك او — ان شئت يوماً فعطل السترا
فان عندي من العفافة ما — تحمده منظراً ومختبرا
امكن اذني من السماع ولا — امكن الحاظ عيني النظرا

✻ باب المحادثة ✻

فاما سبب النديم الذي هو رأس ماله وانفس اعلاقه

فهو الحادثة وهي اخف اللذات موءنة واقلها اتعابا للحاسة وقد قيل لشيخ فان ما بقي من لذاتك قال استماع الملح (وقال) المهلب العيش كله في الجليس الممتع وجود على بن العباس الرومي

وسئمت كل مآربي فكأن اطيبها خبيث
الا الحـديث فانه مثل اسمه ابدا حديث

وسألت فنن وهى جارية اديبة كانت من أأدب الجواري في زمانها مسلما المعروف بالمتيم في مذاكرة جرت بينهما طويلة فقالت اي الامور عندك الذ واشهى محادثة الرجال ام استماع الغناء ام الخلوة بالنساء فقال سألت عن امور لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم ولا الغناء الا بشرب النبيذ ولا الخلوة مع النساء الا بالموافقة وسعة القدرة قالت اي الثلاثة تختار قال محادثة الرجال ومثل قوله لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم قول اخر تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع امهال المحدث حتى ينقضي حديثه وقلة التقلب الى الجواب

والاقبال عليه بالوجه والنظر والوعي لما يقول وان تصغي الى حديثي ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بفكر ولا تسابقه الى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمه انه لم يخطر ببالك ولا وقر في سمعك وامتع الناس حديثاً احسنهم افهاماً ومن ادب الحديث ان لا يقتضب اقتضاباً ولا يهجم عليه وان يتوصل الى اجتراره بما يشاكله ويسبب له ما يحسن ان يجري معه في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقاً ببعض على حسب قولهم في المثل الحديث ذو شجون يعني بذلك تشعبه وتفرعه عن اصل واحد الى معان كثيرة وان لا تبتدي حديثاً ثم تقطعه وتعد باتمامه كأنك روأت فيه بعد ابتدائه ولكن التروئه له قبل التفوه به فان احتجار الحديث بعد ابتدائه سخف ولا يتسع للندم من العذر في انكار الصمت ما يتسع للكاتب لان ذلك ينزل من الكاتب على الفكر في تدبير الاعمال ونظم الامور والانتظار لان يسئل فيجيب او يستشار فيصيب وهو من

النديم عي وانقطاع وقلة امتاع كما قال بعض اصحابنا

وصاحب اصبح من برده　　كالماء في كانون او في شباط
ندمانه من ضيق اخلاقه　　كانه في مثل سم الخياط
نادمته يوماً فالفيته　　متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد اوهمني انه　　بعض التماثيل التي في البساط

وقال بعض العلماء اذا لم تكن المحدث او المحدث فقم
ومع ما قلنا من اكثار النديم الحديث فاحلى لحديثه
واحسن لموقعه ان يتنكب منه الطوال ذوات المعاني القلقة
والالفاظ الوحشية التى يفني باقتصاصها زمان المجلس وتتعلق
بها النفوس وتحبس على اواخرها الكؤس فان ذلك بمجالس
القصاص اشبه منه بمجالس الخواص ولم يزالوا يمدحون
الاحاديث بالقصر كقول امرىء القيس

وحديث الركب يوم هنا　　وحديث ما على قصره

وقال آخر

اذاهن حدثن الحديث قضينه　　ومنيننا ان الحديث يعاد

وقال عبدالله بن المعتز

بين اقداحهم حديث قصير   هو سحر وما سواه كلام

وقال آخر

كم من حديث قصير لي اصيدبه   قلب الفتاة واشعار اسديها

وقال آخر لا تجعلوا مجلسكم حديثاً كله ولا انشاد كله ولكن امزجوه واجعلوا له من كل شيء نصيباً . ومن أدب الحديث ان لا يكثر المحدث التبسم والقهقهة . وقال نجاح بن سلمة للمتوكل لما دعاه الى منادمته في خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء قال وما هي قال سلس البول وانبسم اذا حدثت ولا اقدر من الشرب على اكثر من رطلين فقال له من حق صدقك عنها ان نسامحك بها فتحملها . وقد اختلف رأيهم في موضع الحديث على الطعام فاستحسنه قوم وكرهه آخرون وهو من صاحب المنزل والمائدة احسن منه من الاكيل والزائر كما قال بعضهم

صادف زادا وحديثاً ما اشتهى

ان الحديث طرف من القرى

(ويستجاد قول بعض المحدثين)

كيف احتيالي ابسط الضيف من خجل

عند الطعـام فقد ضاقت به حيلي

أخاف ترداد قول لي فاحشمـه

والصمت ينزله مني على البخـل

(واكل) عندي بعض المجان من النبيذيين فسمعني وانا احمد الله عز وجل في وسط الطعام لشيء خطر ببالي من نعمه التي لا تحصى فنهض وقال أعطي الله عهدا ان عاودت وما معنى التحميد في هذا الموضع كانك اردت ان تعلمنا انا قد شبعنا ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقت ولكن ليس في اولى الطعام

لانك تحشم الاضياف فيه وتأمرهم باسراع القيـام

وتؤذنهم ومـا شبعوا بشبع وذلك ليس من خلق الكرام

ولست أرى بالحديث من الزائر والمزور بأسا الا ان أحسن حديث النديم على الطعام والقيه بالحال التي هو فيها ان يكون في معنى الطب وذكر الاغذية ومحمودها ومكروهها

فان احس من صاحبه بخلا صلح أيضاً ان يذكر له طرفا مما جاء في تخفيف الطعام والتملوء منه والاخذ بمقدار الحاجة اليه وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا البطن اثلاثا ثلثا طعاما وثلثا شرابا وثلثا نفسا ثم مثل قول متمم بن نويرة

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات اروعا

يريد انه كان يؤثر الاضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفي منه شبعه وقال المبرد لانه كان يؤخر العشاء الى الليل انتظارا للطارق وقول حاتم

واني لاستحي رفيقي ان يرى مكان يدي من موضع الزاد بلقعا

وكنت اذا اعطيت بطنك سؤله

وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقول الآخر البطنة تذهب الفطنة وقول الآخر عاهة الشبع أشد من عاهة الجوع وقول بقراط الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع ثم ان استشاره في نقل او عشاء لم يشر عليه الا بما لطف من النقل وحاد به عن الطعام

وخوفه عاقبته وان كان سخيا اكولا ذاكره بما يعجبه ويشاكل مذهبه في احماد قوة الشهوة للاكل والاكثار منه وما فيه من اللذة كقولهم الاطيبان الاكل والنكاح وكقول الآخر

حسن اكل الفتى يدل على ايناسه ضيفه وبسط اكيله
وتراه يقل منـه فيدعو ذاك أضيافـه الى تبخيله

(وحكي) ان الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه ما خير الغذاء فقال ابن القرية بواكره أيها لامير قال ولم ذلك وهل هو كذلك في كل أوان قال نعم ان كان الزمان شتاء فلطول الليل وهضم المعدة للطعام وان كان قيظا فليرد الماء وقلة الذباب

باب غسل اليد

قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل ايديهم بحضرتهم واستجازوا ذلك مع نظرائهم ومن يسقط التحفظ بينه وبينهم ولو آثر الناس الاعتزال لغسل الايدي من الغمر مع كل طبقة حتى لا يرى بعضهم بعضا

لكان ذلك عندي اليق بالظريف واشد امكانا لما يحتاج اليه من استقصاء الغسل والمبالغة في التنظيف واجالة الانامل في اللهوات والخلال في الاسنان وتفله وما اشبه ذلك مما لا يشك احد ان ستره عن عين المحب والمبغض والرفيع والمتواضع احمد من اطلاعه عليه ومحال ان يكون الروساء والملوك ذهبوا غير هذا المذهب وأن يظن بهم فيه الكبر ويوهم عليهم العجب وان المرء يتأذى ان يرى ذلك من نفسه فكيف من غيره وربما يحسن الرئيس ويجمل فيقول لنديمه اغسل يدك مكانك ولا تنزعج فالغبي يتغنم ذلك والفطن يأباه ويغلب الادب فيخف على الادب ويستفيد الحظوة ويأمن الاول الثقيل فيثقل ولو كان الحكم في هذا يوجب من الترتيب فيه والاجتماع عليه مثل ما توجبه المؤاكلة لحسن ان تجتمع الايدي في الطست الواحدة كما تجتمع في مائدة واحدة هذا بعد الطعام فاما قبله فجائز ان تغسل اليد بين يدي الرئيس والنظير في طست واحدة وغسل رجل مع المأمون يده وابطأ الطعام فسبقته يده الى رأسه فقال له

المأمون اعد غسل يدك وقال لا يلي غسل اليد الا الخبز وقل رئيس سنن العرب المضمضة والسواك والاستنجاه ورئيس سنن العجم الخلال وغسل اليد قبل الطعام وسبيل رب المنزل ان يبتدي بغسل اليد فيكون أولا قبل الطعام وآخرا بعده يتقي في الاول حشمتهم وفي الحالة الثانية يتوخى تعجيل اماطة اذى الغمر عن ايديهم هذا مع الاكفاء والمعاشرين فاما العظماء من ذوي السلطان فالاولى بمنادمتهم المبالغة في التخفيف عن اعينهم وقلوبهم والتناهي في اعظامهم وتبجيلهم فاما الخلال والانفراد به والتخلي له فاصون وأحسن على كل حال

باب ادارة الكاس

فاما حكم الكاس في ادارتها فان الادب فيه موافق لسنة الاسلام ومذهب الجاهلية لم يغيروه ولم يبدل به لانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه أتي بسقاء من لبن فشرب منه وكان عن يمينه غلام حدث السن وعن يساره رجل من مشيخة أصحابه فدفعه السلام الى الغلام وقال الايمن فالايمن ومما يدل على مذهب الجاهلية في مثل هذا قول

عمرو بن عدي وجماعة من العلماء ينسبون ذلك الى عمرو
ابن كلثوم

تحيد لكاس عنا ام عمرو ... وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة ام عمرو ... بصاحبك الذي لاتصبحينا

باب الاكثار والاقلال

ومما يغلط فيه اكثر المنادمين وجمهور المتعاقرين افتتاح الشرب بالقدح الصغير والترقي منه الى الكبير وهم بالابتداء بالكبير في حال جمامهم وحاجتهم الى هضم طعامهم وابين مجلسهم اولى حتى اذا ترنحوا وانتشوا كانوا بالنزول الى الصغير اولى وبالبقاء على عقولهم احرى وربما لم يكن غناؤهم ممتعا فيعفى تعجيلهم الطرب بالكبير على تقصيره ويغطي ارتياحهم على عيوبه ولو صادفهم على غير تلك الحالة الحقهم الفتور وقل نشاطهم للكبير فاما الاكثار والاقلال فليس النديم فيهما مختارا ولا علمنا احدا تبين منه كبير بخل على النبيذ والاغلب على اكثرهم اجبار النديم على الشرب والحيف عليه واستثقاله اذا تأبى وامتنع او تمنع

ولا عيب على النديم في السكر اذا كان مجبورا عليه كما وصفنا وتغفر له فرطاته وعثراته كما قال العطوي

فمن حكمت كاسك فيه فاحكم ... له باقالة عند العثار

وكما قال علي بن الجهم

والقوم اخوان صدق بينهم نسب ... من المودة لم يعدل به نسب

تنازعوا درة الصهباء بينهم ... واوجبوا لرضيع الكاس ما يجب

لا يحفظون على السكران زلته ... ولا يريبك من اخلاقهم ريب

والاصل في هذا ما يحكى عن المأمون من قوله النبيذ بساط فاذا رفع فاطووه الا ان يكون النديم هو المستدعى للشرب والمواصل للنخب من غير ثقة منه باحتمال ذلك فيلزمه التبعة وتعصب به الجريرة فاما الرئيس ذو الملك والامر النافذ فلو كان السكر او مقاربته حلالا لا اختلاف فيه لكان عليه حراما لا اختلاف فيه لان بادرته الى نفسه وغيره لا تستقال وامره لا يراجع لانه يقهر ولا يقهر ويحجر ولا يحجر عليه وقلما سمعنا بحادثة فظيعة وغدرة قبيحة وسطوة عظيمة استجازها ملك وجناها على نفسه او نديمه او حميمه

او سائر من يخصه الا على سكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ويلحقه مالا يتلافاه من العار والمسبة فمن تهيأ عليه ذلك من ملوك الجاهليـــة جذيمة بن مالك الابرش صـاحب الحيرة وخبره مشهور ومن ملوك الاسلام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فانه لم يزل يهمل الامور ويواصل السكر مصطبحا ومغتبقا حتى انتشر امره واضطرب حبله فقتل وجماعة كثيرة كان السبب في هلاكهم وهلاك من يخصهم اختيارهم السكر ومطالبتهم به ندمائهم ولو ذهبنا الى تعدادهم وشرح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده

﴿ باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ ﴾

ويقبح بالنديم ان يستميح الرئيس على سكره فانه يرى ان ذلك يجري مجرى الخديعة ويدخل في باب الحيلة وذكروا ان بعض الاجواد لم يكن يعطي احدا من الشراب شيئاً حتى يصحو اشفاقاً من ان يقال ان السكر حداه على السماحة وكان ذلك فيه عارضا فان عدل عن المسئلة في امر نفسه

واستماح لغيره كان ذلك داخلا في باب حسن المحضر والحض
علي الكرم وخرج عن باب التفتم واللؤم فانه يقال ان كثرة
الاخذ لؤم كما ان كثرة الاعطاء كرم * وكان العتابي واقفا
بباب المأمون فجاء يحيي بن اكثم فقال له العتابي ان رأيت
ان تعلم امير المؤمنين مكاني فقال لست بحاجب فقال قد
علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان فقال له
سلكت معي غير طريقتي فقال له ان الله عز وجل قد
اتحفك بجاه ونعمة وهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت
وبالتغيير ان كفرت وانا لك اليوم خير لك منك لنفسك
ادعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وانت تأبي ذلك عليّ ولكل
شيء زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل الى المأمون
فاخبره الخبر فامر للعتابي بثلاثين الف درهم فاما اذا لم يشب
المجالسة والمحادثة في النبيذ والمراضعة ودفعة ضرورة الى المسئلة
فالاحسن في ذلك ان لا يبتدىء بالسؤال محضا وان
يتواخى له من الاحاديث والمعاريض ما يندرج السؤال في
تضاعيفه على الطف ما يمكن في ذلك واقربه من النادرة والفكاهة

كما فعل المفضل الضبي وبايت المهدي فلم يزل يحادثه ويناشده حتي جرى ذكر حماد الراوية فقال له المهدي ما فعل عياله ومن اين يعيشون قال من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد

﴿ باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه ﴾

وحكمه ان يحضر بزى الموكب ولبسة الخدمة والزي الظاهر يعرف به ويشهد فيه المجالس الحافلة من غير ان يتفضل بشيء من ثيابه ولا يتشهر فان شاء الرئيس ان يغير زيه ويكرمه بشيء من ثيابه فخلع عليه الملون والمشهر من اثواب الندام حسن ان يلبس ذلك في وقته حتي ينقضي المجلس ولم يحسن ان يحضر فيه ظاهرا في مجلس آخر لانه شيء كان الرئيس اختاره في ساعة طربه وتبذله لا في كل اوقاته فاما العامة والخف فسبيله ان لا يخل بهما وله ان يلطفهما ويخففهما وانما الغرض في ملازمتهما ان لا يحسر الرأس ويبدو القدم ويذهبون بذلك الى اجلال السلطان

العظيم عن مشاركته فيما اتسع له من التبذل والتخير في الزي الذي لامشقة ولا ثقل فيه والانفراد منه بما ينفصل به عمن هو دونه وهذا مما يسلك فيه سبيل ملوك الاعاجم وكانوا رسموا لكل طبقة من طبقات اهل ممالكهم برسم من الزي ليتميزوا ولا يشتبه سوقه بملك ولا دنيء بشريف ولا تابع برئيس ولكل اهل عصر زي الا ان الاكثر والاشبه باهل عصرنا وما قرب منه ما ذكرنا والحجة في استحسانه وايثاره ما بيناه ومما ياخذ به نفسه الاسراع في الخطو اذا كان حيث يراه الرئيس حتى تكون مشيته ارقالا ولا تكون اختيالا ولهذا وما اشبه من التحفظ صار ندام النظير انعم واترف وان كان ندام العظماء اجل واشرف وخبرت عن الطبقة العالية من ندماء الخلفاء الماضين انهم كانوا يجتمعون في منزل احدهم فاذا مشى بعضهم في ذلك الموضع مشي مسرعا وسئل احدهم عن السبب في ذلك فذكر انه انما يفعله في كل موضع وان كان لا يلزمه الا في مجلس الخليفة حذراً من ان يخل بالعادة فيعدل عنها في موضعها فاستحسنت

تلك الرياضة . ومما يلزمه ان يتحفظ منه ايضا ويروض نفسه
به ان لا يصيحه ولا يسبه ولا يشمته ولا يستخبره وانما ترك
ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب وليس من حق المنادم
ذا الرياسة والسلطان اذا تبين لنديمه منه لين الخلق ووطاء
الكنف وخلع ثوب الكبر ان يستعمل معه من الدالة ما يجحده
حق رياسته ويقدح معه في سلطانه ويفسد عليه تدبيره
ويقال ينبغي لمن خص بالسلطان ان يستعد للذنب لم يجنه
وان يكون آنس ما كان به اوحش ما يكون منه فان سلم
من ذلك كله فواجب عليه ان لا يخل بتوقي الملال والتحرز
من وقوعه وقد قال عبد الله بن جعفر من اعظم الخرق
الدالة على السلطان . وبينما المأمون ينادم ابراهيم بن المهدي
بعد رضاه عنه وتغمده ما كان منه تبين منه دالة اذ كرته
عما تقدم من ذنبه فنهض وامر باقراره ومن كان معه على
جملتهم ثم صار الى مجلس جده فاستوى على سريره وتزيا
بزي الخلافة واختصر القضيب وتجلبب بالبردة وجمع الجنود
في السواد والاسلحة ومد السماطان وشهرت السيوف والاعمدة

ثم احضر ابراهيم معننا معسوفا فلما مثل بين يديه اطرق عنه مليا ثم رفع راسه وابراهيم يرعد فقال يا ابراهيم ما حملك على ما كان منك قال كرمي خلا من صاحبه يا امير المؤمنين فكنت جديرا بحفظه عليه حتى اعاده الله اليه وقد سبق من عفو امير المؤمنين ما لا أخاف عليه الحؤول عليه فقبل عذره واحسن جائزته ورده الى مكانه وعاد المأمون في مجلس الندام من وقته (وخبرني) ابي عن ابيه رحمهما الله قال كان ينادم اسحق بن ابراهيم الطاهري جوهري من جلة التجار ووجوههم حتى خص به وتبين لطف موقعه منه ولم يكن احد يتقدمه عنده وكانت فيه دالة ومعه ادب يستحق له تلك المنزلة قال فانه لمعه ذات يوم والستارة منصوبة اذ وصف للمتوكل فص كبير جليل المقدار كان وقع الى هذا الجوهري فوقع الى اسحق باحضار هذا الرجل ومطالبته بالفص ومناظرته على ثمنه ووافي التوقيع فلما نظر اليه دعا بالجلادين والسياط فامر بتجريد الرجل فقال ايها الامير ما قصتي ما سببي فلم يذكر له شيا حتى

نصب بين العقابين وكاد السوط ان ياخذه فلما علم انه قد رهب وسكر قلبه من الرعب والهيبة ما انساه الدالة والمنادمة قال له فص عندك من حاله وصفته فقال احضره الساعة فيامر الامير باطلاقي حتى اتيه به قال لا سبيل الى ذلك فدعا بدواة وقرطاس وكتب وهو في تلك الحال الى ثقته في منزله بعلامة قوية وامر باحضاره الفص فاحضر في منديل وختم عليه وأنفذه ثم قام بنفسه الى الرجل فتولى حل وثاقه واعتنقه وخلع عليه من فاخر كسوته وقال لم يكن من حق السلطان الا ما رأيت ولو لم افعل ذلك لما أمنت دالتك ولا كنت تخرج مثل هذه العقدة النفيسة بتمسيح اعطافك ولحقني من امير المومنين ما يفسد حالي وحالك فسكن الرجل الى عذره وقبله

باب ما يلزم الرئيس لنديمه

قد ذكرنا من حال الرؤساء فيما يستبدون به دون ندمائهم بمحل السلطان وخطر الرياسة ما اوجزناه وليست

تلك الحال خاصة الا للملك الاجل الذي لا يسعه الاخلال
بالهيبة فاما من دونه فالانصاف في المنادمة واغلاق باب
التدفع والتحفظ وايثار الانبساط والتبذل اولى بهم وأدل
على كرم العشرة وحسن الصحبة وعلى انه قد كان من
الخلفاء والامراء من يتوخى هذا الحال مع مجالسيه ومنادميه
كفعل عمر بن عبد العزيز وطرقه رجاء بن حيوة فنهض
فاصلح السراج وعاد الى موضعه فاكبر ذلك رجاء فقال
قمت وانا عمر وعدت وانا عمر . ويزيد وكان ينادم الاخطل
وهجا الاخطل الانصار هجاء كثيرا فاجاره منهم وكان يسوى
بينه وبينهم في اكرم المواضع من مجلسه وهو امير . والوليد
بن عقبة ولم يزل ينادم ابا زبيد الطائي والياً ومعزولا على
وتيرة واحدة من الانصاف لا ينتقل عنها ويجله ويعظمه
ولا يقدم احدا عليه حتى هلك ابو زبيد فوجد عليه وجدا
شديدا ثم اعتل فيقال انه دفن الى جانبه ومر بقبريهما
اشجع ابن عمرو السلمي ومعه صديقان له . يقال لهما حمزة وسعيد
فوقف بهما ثم قال

مررت على عظام ابي زبيد رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فاضحي مجاور قبره قبر الوليد
وما أدري بمن قصر المنايا باشجع أو بحمزة او سعيد

فيقال انهم ماتوا على هذا النسق اولا اولا . والوليد بن يزيد بن عبد الملك نديمه أبو كامل الذي يقول فيه

من مبلغ عني أيا كامل أني اذا ما غبت كالذاهل

وحكي عن الرشيد من حسن المجالسة ولطف البر في المؤاكلة ما يجاوز هذا كله وهو ان الفزارى قال دخلت اليه بالرقة في قصر الخشب ولم يكن معنا ثالث غير من يقوم بين يديه من خاصة حشمه فتحاورنا مليا ثم أوما الى بعضهم فجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فاستخرج رطبة فاكلها ثم استخرج أخرى فأوما بها نحوى فقمت فتناولتها وقبلت يده ثم امر برفع المنديل فلما رفع لم أرفي الطبق شيا فقال انه كان فيه رطب أهدى لنا من العراق ولا تحين الرطب ولم يكن بقي غير ما رأيت فعلمت انه أمر بتغطيته لئلا أري قلته فامتنع من أكل الرطبة التي ناولنيها وافرها

عليه . وقد رأينا جماعة من جلة الروساء وعظماء أصحاب السلطان يبذلون أبناءهم ويمتهنونهم في الخدمة استوت بهم العشرة فاوسعوهم من المبرة والتكرمة وربما تجاوزوا في ذلك الحد نخدموهم وأخدموهم أولادهم وانتصبوا وأنكوهم وتأخروا في المجلس وصدروهم فلا يقدح ذلك في رياستهم ولا يحط من منزلتهم بان تسترق لهم قلوبهم ويستخلص به نياتهم وانشدني منشد

فتى اذا ما الحرب قامت به ... قام مقام الاسد الورد
كأنه عبد لاخوانه ... وليس فيه خلق العبد

﴿ وقال آخر ﴾

واني لعبد الضيف مادام نازلا ... وما في الا تلك من شيم العبد

ويلزمه ان لا يسقيه من غير ما يشربه الا باختياره واستدعائه شرابا يستصلحه ويرى انه ملائم لجسمه فيسقيه مما يلتمسه من موجوده ولا يمنعه كل ما يستزيده من المزاج ولو لم يتجنب ما ذممناه في تلوين الشراب الا لما سار في هذا المعنى من قول الشاعر

رأيت نبيذين في مجلس فقلت لاخواننا ما السبب
فقالوا الذي نحن في بيته يفضل قوما لسوء الادب

وقال المطوي

نبيذان في مجلس واحد لتفضيل مثر على معسر
فلو كنت تفعل ذا في الطعام لزمت قياسك في المسكر

وكان بعض الكرماء ياخذ نفسه باحضار الدن بطينه قيصبه حيث يراه اخوانه ومنادموه فيبزله بين أيديهم ويملاء منه الآنية حتى يتبينوا ان الشراب واحد لاخلط فيه · ومن أبين الانصاف في هذا الباب ان يفرد كل نديم بآلته ومزاجه ويحكم على نفسه ويقلد سقيها على حسب طاقته واحتماله الا من كان متجملا غير متسع في الآنية فهما أعجزه وتعذر عليه من ذلك فان العدل في السقى يمكنه ولا يعجزه ويستحسن لابي نواس نحو هذا

ولست بقائل النديم صدق وقد اخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم أذقها فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني اجيد الكاس عنه وأتركها بغمزة حاجبيه

فان طلب الوساد لنوم سكر دفعت وسادتي أيضاً اليه

ومثله قول السرى بن عبد الرحمن في ظرفاء من الحجازيين

اذا انت نادمت العتير وذا الندى

جبيرا ونازعت الزجاجة خالدا

أمنت بحمد الله ان تقرع العصا

وان يوقظوا من نومة السكر راقدا

وخالف الحسين الضحاك ابانواس في ابياته فقال

يا مدير الكاس حييت على الكاس مديا

سأقول الدهر احسنت وان كنت مسيا

لست استعفيك من حيفك في السقى عليا

وفيها يقول

قد حلبت الدهر طورين خليا وشجيا

فأرى من عدم الصبوة والكاس شقيا

وجود بعض الكتاب في قوله

ولست بمستعف من السكر صاحبا

اذا كان يهوى ان اصير الى السكر

ولكنني اسعى الى السكر واثقا

بما فيه ان اخطأن من سعة العذر

وان هو أعفاني سكرت ولم اكن

لاكثر من شرب يزيد على القدر

✻ باب الادب في الشطرنج ✻

واما الشطرنج فليس غرضنا ذكر فضائلها فنعد من ذلك ما نسهب فيه ونأتي بما ذكره المتقدمون ونجتهد في الزيادة عليه وانما نتوخى التنبيه على ما يحتاج اليه النديم في حال اللعب بها من الادب الذي يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته ايا مجتمعين على الشطرنج فانه لا يكون بينهما الا مساحة الرقعة ولعلها لا تزيد على الذراع كثيراً والزمان بينهما يطول فيها فواجب على النديم ان يتحفظ من نفسه ويتعهد من احوال ظاهر جسمه وباطنه وشاهده وغائبه ما يامن معه ان يسبق الى طرف الرئيس وانفه من

جهته حال يذمها وليكن على اوكد ثقة بنفاه فيه من الخلاف وثوبه من الدنس ومعاينه من الدرن بترفية هذه الاشياء حقها من التنظيف والتطييب وليس حق نفسه عليه اذا كان عالي الطبقة ان يبخسها حظها ولا يحطها عن درجته توهما ان تغابيه للرئيس المصطفى له عليه ان يتصور بصورة من يغالطه ويسخر منه باعطائه ما ليس له وعلى ان عقول الرؤساء اقوى وفطنهم ارق من ان يجوز عليهم مثل هذا ولم توضع الشطرنج على الانصاف والعدل ويدلك على ذلك ان اصلها التكافوء والقيام اذا وفي النظر والحساب من كلا الجهتين حقهما واخبرني ابو الحسين على بن احمد الكناني ان ابا بكر الصولى لما حضر مجلس المكتفي بالله امير المؤمنين في ابتداء دخوله وكان قبله الماوردي اثيرا عنده متمكنا من قلبه معجباً بلعبه فلما لاعبه الصولى بين يديه حمله حسن الراي في الماوردي والالف له على نصرته وتشجيعه وتنبيهه حتى ادهش ذلك ابا بكر قصده غلبه غلباً لم يكد يرد عليه معه دستا وتبين الحق للمكتفي فعدل عن

الهوى وقال للماوردي صار والله ماء وردك بولا . وبلغني انه راى بساتين مونقة وزهرا حسنا فقال لجلسائه وندمائه هل رايتم منظراً احسن من هذا فكل قال فيه شيأ ذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه وانها التي لايفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال كعب الصولي احسن من هذا الزهر ومن كل ما تصفون . ومما يستعمل على الشطرنج النوادر المدهشة واقول انها في تلك الحال بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله المقاتل عند اللقاء والحادي عند الاعياء والماتح عند الاستقاء فهي من عدة اللاعب كما ان الشعار والارتجاز من آلة المحارب وقد قيل في ذلك

كم من ضعيف اللعب كانت له عونا على مستحسن القمر

ولست استحسنها الا في موضعين احدهما عند وقوفك على الضربة الغريبة الحسنة الدقيقة وامكانها اياك بان يكون اللعب لك وفي يدك مثل الشجاع الذي اذا راى مساغا لنابيه صمم وان شغلت نفسك بتلك الاعابيث وانت محتال اللعب

مرتاد للغلب انقطعت بذلك عن الصواب وان لم يكن
اللعب في يدك نبهت بما يظهر في ذلك العبث من نشاط
خصمك علي تفقد مالاح لك فتحرز منه . والآخر عند
وقوفك على امكان الضربة الجيدة صاحبك وتهيئها له دونك
فانت بما تستعمله في تلك الحال تشغله وتدهشه حتى يكاد
يعمى عن رشده واذا كان القمر لك فاحسن احوالك
الترك على الاحسان ان كنت مختارا وكذلك ان اتصل
القمر عليك لان الالحاح واللجاج لا يزيدك الا بلادة
وقد قيل في الشطرنج اشعار كثيرة فاما طوالها فكثر فيه الحشو
بما اضطر اليه القائل من الاقتصاص وقلما اقتصت حال في شعر
الا كان مضعوفا الا ابياتا كثر الشك فيمن تعزى اليه واولها

ارض مربعة حمراء من ادم
ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها
من غير ان ياتيا فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على

هذا يغير وعين الحرب لم تنم

فانظر الى خيل جاشت بمعرفة

في عسكرين بلا طبل ولا علم

وابياتا تعزى الى ابي الحسين احمد بن محمد بن ابي البغل الكاتب وهي

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها

غرائب لاتسمو لها عين جاهل

فابصر اعقاب الاحاديث في غد

بعين مجـد في مخيـلة هازل

واجدى على السلطان في ذاك انه

اراه بها كيف اتقاء الغوائل

وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته

شبيه بتصريف القنـا والقنابل

فاما النرد ففيها انواع اللعب وصنوف من الترتيب والنصب الا ان عدد البيوت واحد لا نقص ولا زيادة على الاصل المتعارف فيها ممكن وصاحبها مع ذلك وان لم

يكن سريع النقل رشيقه صحيح الحساب مصيبه حسن الترتيب جيده ولبعض الادباء فيها ابيات وهي

لا خير في النرد لا يغني ممارسها
فضل الذكاء اذا ما كان محروما
تريك افعال فصيها تحكمها
ضدين في الحال ميمونا ومشؤما
فما تكاد ترى فيها اخا ارب
يفوته القمر الا كان مظلوما

(وكتبت الى صديق لي اذم النرد اليه وكان بها لهجا)

ايها المعجب المفاخر بالنر — د ليزهى به على الاخوان
قد لعمري حرصت جهدي على لي — ت كذا لو لم يأتك الفصان
غير ان الاريب يكذبه الظن — ويمنى بشدة الحرمان
ولعمري ما كنت اول انسا — ن تمنى فاخلفته الاماني
واذا جاءت القضاة بحكم — لم يحد عن قضائها الحسبان

وانشدت لابي نواس في النرد

مامورة بالامر بغيره — ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا

اذا قلت لم تفعل فليست مطيعة

وافعل ما قالت فصرت لها عبدا

انتهى بنا القول الى هذه الغاية وفي بعض ما قدمنا كفاية لذوي التمييز والفطنة وهداية الى كريم الاخلاق في المنادمة وان لم نكن احطنا بما يفي بشرطنا في التشبيث فقد نبهنا بيسير ما تهيأ ان نذكره على الجليل ودللنا بالقليل منه على الكثير ونرجو ان نسلم مع ما قصدنا له من الحض على جميل المروءة ونهجنا من السبيل الى حسن العشرة مما يني به مؤلف الكتاب من المطاعن ويستهدف له من المعايب ان شاء الله تعالى

❊ تشطير قصيدة ابي فراس الشاعر المشهور ❊

(اراك عصي الدمع شيمتك الصبر)

كانك تستحلي هوى طعمه الصبر

ولم تستملك الغانيات بدلها

(اما للهوى نهي عليك ولا امر)

(بلى انا مشتاق وعندي لوعة)

وفي كبدي الحرى قد اضطرم الجمر

وان عد ارباب الهوى كنت اولا

(ولكن مثلي لايذاع له سرُّ)

(اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى)

اناجي كراماً عاقني عنهم الاسر

وسهدت جفنا ما درى السهد قبلهم

(واذللت دمعا من خلائقه الكبر)

(تكاد تضيء النار بين جوانحي)

ويغرقني من دمعي الهاطل البحر

ونيران احشائي يشب سعيرهـا
(اذا هي اذكتها الصبابة والفكر)

(معللتي بالوعـد والموت دونه)
على اسـے حال ترضين لك الشكر

بذاك يقضي شرع حبي وانمـا
(اذا مت ظمآناً فلا نزل القطر)

(بدوت واهـلي حاضرون لانني)
لدي مغاني الغيد لا غيرهما مصر

واني وان عزت دياري واخصبت
(ارى ان داراً لست من اهلها قفر)

(وحاربت قومي في هواك وانهم)
لدى مدلهم الخطب انجمى الزهر

ومهما تجـافينـا تيقنت انهم
(واياسے لولا حبك الماء والخمر)

(وان كان ما قال الوشاة ولم يكن)
فانك ممن عنده يقبل العـذر

هبي ان ما قالوا لديك مكفر
(فقد يهدم الايمان ما شيد الكفر)

(وفيت وفي بعض الوفاء مذلة)
رضيت بها مع انني الانف الحر

قضى الله اني لا اروم سوى الوفا
(لانسانة في الحي شيمتها الغدر)

(وقور وريعان الصبا يستفزها)
فتلبس تاج العجب كلله الفخر

وتصبو حنـوا ثم ينقلب دلـا
(فتأرن احيانا كما يارن المهر)

(تسائلني من انت وهي عليمة)
بحالي وبالمقدور لي عنـدها سر

ولم ترني الا وتنكر صبوتي
(وهل بفتى مثلي على حالة نكر)

(فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى)
متيمك المضنى الذي شفه الهجر

فقالت من المضنى فقلت لهـا انا
(قتيلك قالت ايهم فهم كثر)
(فقلت لهـا لو شئت لم تتعنتي)
عليّ ويأخذك التعـاظم والكبر
ولو راقك الانصاف لم تتجـاهلي
(ولم تسألى عني وعندك بي خبر)
(ولا كان للاحزان لولاك مسلك)
اليّ ولم ينزل بساحتي الضـبر
وما خلت قبل اليوم ان يصل الجوى
(الى القلب لكن الهوى للبلا جسر)
(فأيقنت ان لاعز بعدي لعاشق)
ولو كان ممـا يملك البر والبحر
وان لاخلاص اليوم من ربقة الاسى
(وان يدي مما علقت به صفر)
(فقالت لقد ازرى بك الدهر بعدنا)
ووافاك منه مترعا كأسه المر

وصرت لما ترمي يداه رميـــة
(فقلت معاذ الله بل انت لا الدهر)
(وقلبت امري لا ارى لي راحة)
ترجى وغالتني الوساوس والفكر
وصرت غريقاً في بحار تحيريـــ
(اذا البين انساني الح بي الهجر)
(فعدت الى حكم الزمان وحكمها)
وليس بخاف ان في حكمها جور
خضعت ومالي ان تظلمت منصف
(لها الذنب لا تجزي به ولي العذر)
(تجفل حيناً ثم تدنو وانمـــا)
لها لفتات الظبي ان راعه امر
تروح وتغدو بالفلاة كأنها
(تراعي طلا بالواد اعجزه الحضر)
(واني لنزال بكل مخوفة)
وما راعني وعر ولا موحش قفر

وكم ساقني عزمي لارض حصينة

(كثير الى نزالهـا النظر الشزر)

(واني لجرار لكل كتيبة)

بها كل فرد لا يقاومه عشر

منزهة الاعن الفتك بالعدا

(معودة ان لا يخل بها النصر)

(فاصدى الى ان ترتوى الارض والقنا)

ويصدر عن ورد الدماالوحش والطير

واجهـد حتى اثني بنفوسـهم

(واسغب حتى يشبع الذئب والنسر)

(ولا اصبح الحي الخلوف لغارة)

على غرة كيلا يقوم له عذر

ولم آت يوماً خفيـة من قصدته

(ولا الجيش مالم تأته قبلي النذر)

(ويارب دار لم تخفني منيعـة)

وما هي الا الذي رامهـا قـبر

وكم دمرت اسداً فلما اتيتها
(طلمت عليها بالردى انا والفجر)
(وساحبة الاذيال نحوي لقيتها)
فكان لها مني البشاشة والبشر
ولاقت كريماً دابه البر والندى
(فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر)
(وهبت لها ما حازه الجيش كله)
وما شاب هذا الجود من ولا فخر
ولم يك الا ان بشثت وودعت
(ورحت ولم يكشف لابياتها ستر)
(ولا راح يطغيني باثوابه الغني)
فزينته عندي التواضع والشكر
وما انكر العافون مني سماحة
(ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر)
(وما حاجتي في المال ابغي وفوره)
ولا همني عسر ولا سرني يسر

ولم ابـغ الا وفر عرضى فانني
(اذا لم افر عرضى فلا وفر الوفر)
(اسرت وماصحبي بعزل لدى الوغى)
وكم من صدى صوتي ليوث السرى فروا
وما احد في الحرب يجهل سطوتي
(ولا فرسي مهر ولا ربة غمر)
(ولكن اذا حم القضاء على امريء)
(يكون ولا يغني من القدر الحذر
ومن رام من امر الاله وقاية
(فليس له بر يقيــه ولا بحر)
(وقال أصيحابي الفرار او الردى)
فبالذل بعد العز قد قضي الامر
فامـا التولى ار تمزقنـا العدا
(فقلت هما امران احلاها مر)
(ولكنني امضي لمـا لا يعيبني)
وما ليس فيه قط عار ولا وزر

واختار اسرى لا الفرار مخافة

(وحسبك من امرين خيرهما الاسر)

(ولا خير في دفع الردى بمذلة)

اذا لم يكن عز فان الردى خير

ومن يرتضي رد الردى بمعرة

(كما ردها يوماً بسوأته عمرو)

(يمنون ان خلوا ثيابي وانما)

هم جهلوا ان المهابة لي ستر

على انهم ان جردوني فانني

(عليّ ثياب من دمائهم حمر)

(وقائم سيف فيهم دق نصله)

فلم يك الا ما به نفد العمر

وصائب سهم للقلوب ممزق

(واعقاب رمح فيهم حطم الصدر)

(سيذكرني قومي اذا جد جدهم)

وتشتاق لي البيض الفواتك والسمر

فاني بدر كلما الحرب اظلمت

(وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)

(ولو سد غيري ما سددت كتفوا به)

وهل صدف يجدى اذا فقد الدر

فلو كان ذا لم يفضل الزيف جيد

(وما كان يغني النبر لو نفق الصفر)

(ونحن اناس لا توسط بيننا)

فنأنف ان يرقي مراتبنا الغير

وأحسابنا تقضي علينا بأننا

(لنا الصدر دون العالمين او القبر)

(تهون علينا في المعالي نفوسنا)

ويبذل في درك العلى نفسه الحر

وما عز شيء دونه الروح في العلى

(ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر)

(أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلى)

وملجأ من اخنى على جاهه الدهر

وأطيب من في الارض فرعا ومحتداً
(واكرم من فوق التراب ولا فخر)

﴿ تمت القصيدة وهذا هو شرحها الموعود به مع تشطيرها ﴾

قال ابو فراس رحمه الله

(اراك عصى الدمع شيمتك الصبر)
كانك تستحلي هوى طعمه الصبر
ولم تستملك الغانيات بدلها
(اما للهوى نهى عليك ولا امر)

« عصى » صيغة مبالغة في العصيان واضافة عصي الى الدمع من اضافة الوصف الى مفعوله « الشيمة » السجية والطبع « الغانيات » جمع غانية وهي التي استغنت بجمالها عن الحلي والزينة « الدل » بفتح الدال من المرأة جرأتها في تكسر كأنها مخالفة وليس بها خلاف « والمعنى » ان الشاعر

جرد من نفسه شخصا وخاطبه بقوله مالي اراك جلدا قاسي القلب لا تجيب دمعك الى ما اراده منك من بذله وارساله مع ان ما بك من الهوى يستفيض الدمع كانك تعد العشق حلو المذاق وتستطعمه كما تستطم الحلواء فلا تجد له أدنى مشقة فهل قلبك صخر حتى لا تستميلك بجمالها الغيد الحسان أليس لسلطـان الهوى تحكم عليك بالامر والنهي المفضيين لانسكاب الدمع المتسبب عن عدم الصبر على جفاء المحبوب فأجابه بقوله

(بلى انا مشتاق وعندي لوعة)

وفي كبدي الحرى قد اضطرم الجمر

وان عد ارباب الهوى كنت اولا

(ولكن مثلي لا يذاع له سر)

« لوعة » الحب حرقته « اضطرام » اتقد والتهب «لا يذاع» لا يفشي « والمعنى » ان الشاعر يقول لست كما ظننت وانما أنا صب اتقدت باحشائه نيران الوجد والغرام واحرزت قصب السبق ان عد اهل الهوى غير اني مع صدق المحبة

والغيرة على المحبوب لست ممن يزعزعه تبارح الوجد فيفشي مكنون سره اذ كتم السر في شرع الهوى واجب ولكني

(أذا الليل اضواني بسطت يدالهوى)

اناجي كراماً عاقني عنهم الامر

وسهدت جفناً ما درى السهد قبلهم .

(واذللت دمعاً من خلائقه الكبر)

« اضواني » ضمني وسترني « السهد » الارق اي السهر « اذللت » أي اخضعت وامنت « الخلائق » جمع خليقة وهي السجية والطبع « والمعنى » ان الشاعر يقول حيث ان التهتك وافشاء الاسرار امر تأباه النفوس الصادقة في المحبة والليل اخفى للويل فاذا جن الظلام وامنت من الرقباء بسطت يد العشق تلعب بي كيف شاءت وناديت احبة كراما حال بيني وبينهم الامر شوقا اليهم وحنانا لهم واسهرت اجفانا لم تك تعرف السهد قبل ذلك مذللا دمعي الذي سجيته الانفة والاباء عن الجريان ومن هذا قول بعضهم

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا

دجى الليل هزتني اليك المضاجع

(تكاد تضيء النار بين جوانحي)

ويغرقني من دمعي الماطل البحر

ونيران احشائي يشب سعيرها

(اذا هي اذكتها الصبابة والفكر)

« الجوانح » الاضلاع التي تلي الصدر « يشب » يتقد ويضطرم « اذكتها » اشعلتها « الصبابة » رقة الشوق وحرارته « الماطل » المتتابع « والمعنى » يقول الشاعر انه عند ما يغلبني الفكر وتلعب بي يد الصبابة تشتعل نيران الوجد والغرام بين جوانحي حتى تكاد تظهر للناظرين ويوشك دمعي المتتابع الشبيه بالبحر ان يغرقني فصرت متأثرا بأثرين بحر الدمع ونار الصبابة ومن هذا قول ابن الفارض رضي الله عنه

فطوفان نوح عند نوحي كادمعي

وإيقاد نيران الخليل كلوعتي

فلولا زفيري اغرقتني ادمعي

ولولا دموعي احرقتني زفرتي

(معللتي بالوعد والموت دونه)

على اي حال ترتضين لك الشكر

بذلك يقضي شرع حبي وانما

(اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر)

« المعنى » يقول يا من عللتني بوعدها والحال ان الموت اقرب من الفوز بالوعود انا راض بما ترتضينه بل شاكر له كما حكم على شرع الهوى ولكن اذا لم انقع غلتي واشف علتي بوصالك مع صدق ولائي واخلاصي في محبتك فلا نزل قطر يحيا به غيري ممن عشقهم هباء وقولهم هراء

(بدوت واهلي حاضرون لانني

لهي مغاني الفيد لا غيرها مصر

واني وان عزت دياري واخصبت

(ارى ان دارا لست من اهلها قفر)

« بدوت » سكنت البادية « حاضرون » مقيمون بالحضر

« مغاني » جمع مغنى وهو الموضع الذي كان به أهله والمراد هنـا محل الغيد « الغيد » جمع غيداء وهي المرأة الحسناء « القفر » المكان الذي لانبات فيه ولا ماء « والمعنى » اراني مع اقامتي بين ظهراني اهلي بالحضر وسكناي في ربوعهم كاني بالبادية لان مصرى انما هو مغاني الغيد وبهما علا قدر وطني وعز لدي وشاقني منظره وخصوبته فلني اراه مجدبا لان كل دار لست فيها قفر خالية من الماء والنبات وان اهلت باللفيف من الناس

(وحاربت قومي في هواك وانهم
لدى مدلهم الخطب انجمى الزهر
ومهما تجـافينا تيقنت انهم
(واياي لولا حبك الماء والخمر)

« المدلهم » المظلم « الخطب » الامر الصعب « والمعنى » يقول اني عاديت اهلي وعشيرتي الذين هم كواكب زهر اهتدي بهم عندما يظلم ليل الخطوب اذ لاموني في هواك ومقتوني من اجل هيامي بحبك على انه لو حصل لضعاف

ما حصل بيني وبينهم من النفور والجفاء فانا على يقين من اني واياهم كالماء والخمر في الامتزاج ولكن كان حبك سبب التفرق والمنافرة بيني وبينهم

(وان كان ما قال الوشاة ولم يكن)

فانك من عنده يقبل العذر

هبي ان ما قالوا لديك مكفر

(فقد يهدم الايمان ماشيد الكفر)

« الوشاة » جمع واش وهو العاذل الذي يسعى بالفساد « والمعنى » يقول لئن ثبت لديك ما نسبته الوشاة الي من السلوان او غيره مما يشعر بانفصام عرى الحب والحال كما تعهدين من انه لم يكن شيء من ذلك فقد جئت باسطا يد الاعتذار متيقنا انك خير من يقيل العثار ويقبل الاعتذار سيما ممن كنت سبب نحوله حتى انه لم يكد يرى للعيان لولا انينه فليت شعري مع ما تعلمينه في من صدق المحبة والتمسك بأذيال الوفاء كيف تصغين لقول واش لا يروم سوى قطع علائق الحب ومع ذلك هبي اي افرضي ان

ما نسب الي ان صح مكفر فقد آمنت والايمان يهدم ما شيده الكفر

(وفيت وفي بعض الوفاء مذلة

رضيت بها مع انني الانف الحر

قضي الله اني لا اروم سوى الوفا

(لانسانة في الحي شيمتها الغدر)

« الانف » المستنكف والمراد هنا من عنده عظمة وعزة نفس « انسانة » قال في القاموس والمرأة انسان وبالهاء عامية وسمع في شعر كانه مولد

لقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل

انسانة فتانة بدر الدجى منها خجل

اذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

« والمعنى يقول اني مع رفعة مكانتي وعلو همتي وعزة نفسي لم ازل وفيا بحقوقها خاضعا لاوامرها مهما تمادت في صدها ونفورها فما تعززت الا تذللت ولا قطعت الا وصلت ولا انكرت الا تعرفت ولا غدرت الا وفيت وغير خاف

ما في ذلك من المذلة التي يأباهـا أبي النفس مثلي ولكن قضي الله اني لا اميل لغير الوفاء لغادة لا تحب سوي الغدر

(وقور وريعان الصبا يستفزها)

فتلبس تـاج العجب كله الفخر

وتصبو حنوا ثم يغلب دلهـا

(فتارن احياناً كما يأرن المهر)

« وقور » كصبور مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ومعناه عندها رزانة وسكون « ريعان الصبا » حماقته والمراد به عنفوان الشباب « يستفزها » اي يستخفها « فتأرن » الارن النشاط « تصبو » تميل وتحن « والمعنى » انه يصف محبوبته بانها لابسة من الوقار والسكون ابهج حلة على ما حازته من بديع الجمال ورقة الطبع المستلزمة للخفة ودوام الخلاعة ممن حوي ذلك فترق حنوا وشفقة ولكن حينما يغلبها عنفوان الشباب تنشط وتمرح كما يمرح المهر لابسة تاج العجب والدلال الا انه مكلل بالفخر والعظمة

(تسائلني من انت وهي عليمة)

بحالي وبالمقدور لي عندها سر

ولم ترني الا وتنكر صبوتي

(وهل بفتى مثلي على حاله نكر)

« الصبوة » شدة الشغف بالمحبوب « والمعنى » يقول ان هذه المحبوبة مع علمها بحالتي وما اقاسيه من تباريح الجوى في حبها لم تزل تنكر صبوتي تيهاً ودلالاً حينما تراني مددت لها يد الاستعطاف سألتني بلسان تجاهل العارف من انت والحال انها اعلم بي مني فهل ينبغي ان تنكر فتى مثلي حاله غير خاف على احد

(فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى)

قتيلك المضنى الذي شفه الهجر

فقالت من المضني فقلت لها انا

(قتيلك قالت ايهم فهم كثر)

« شفه » هزله واضناه « والمعنى » يقول لما سألتني بلسان التجاهل لم يسعني الا ان اجبتها مجاراة لها كما ارادت واراد لها الهوى وقضيا عليّ بذلك وقلت انا المتيم المضنى الذي

انحله هجرك حتى صار مثلا فاعادت على الخطاب بقولها من هو المضنى فقلت لها انا قتيلك فلم يكفها ذلك الجواب بل قالت اي القتلى انت فان قتلاى كثيرون

(فقلت لها لو شئت لم تتعنتي

عليّ ويأخذك التعاظم والكبر

ولو راقك الانصاف لم تتجاهلي

(ولم تسألي عني وعندك بي خبر)

« راقك » اعجبك « والمعنى » يقول لعلي ان سؤالها لم يكن الا تعنتا منها وليس هو سؤال مستفيد اجبتها اتكالا على ما اعهده فيها بقولي انك لو احببت الانصاف لم تسأليني سؤال المتعنت والحال ان علمك بحالتي يغنيك عن ذلك

(ولا كان للاحزان لولاك مسلك)

اليّ ولم ينزل بساحتي الضير

وما خلت قبل اليوم ان يصل الجوى

(الى القلب لكن الهوى للبلا جسر)

« الضير » والضر بمعنى واحد « الجوى » الحرقة وشدة الوجد « والمعنى » يقول انه لما ساعدني الحظ باعارتها اذانا صاغية انتهزت تلك الفرصة لبث شكواي لها علها ترق لحالتي فقلت حنانا ورفقا بصب لم تسلك الاحزان له طريقاً ولم يعرف الضير له مكانا ولم يخطر بباله وصول الجوى لفؤاده لولا وقوعه في شرك حبك وابتلائه بصدك وهجرك ولكن الهوى اسهل طريق للبلاء

(فايقنت ان لا عز بعدي لعاشق
ولو كان مما يملك البر والبحر
وان لا خلاص اليوم من ربقة الاسى
(وان يدي مما علقت به صفر)

« الاسى » الحزن « صفر » خاليه « والمعنى » يقول لما لم آل جهدا في اعمال الطرق الموصلة لنيل المرام من تكتم الاسرار واخفائي جوى الهوى وخضوعي لكل اشارة على ما فيها من المذلة وتحمل الضيم والاسى ومع ذلك لم ار الا ما يوجب اليأس من الوصول الى المقصود تيقنت ان

كل عاشق مهما بلغت حالته لا يرى عزا أبدا كما انه يمكنه التخلص من شرك الاسي ولو كان ما في الكون طوع يمينه وماذا تغني اطراف الرماح او بيض الصفاح اذا انتضيت من اللحظ سيوف لا تفل وسددت من القدود رماح مقرونة بالاجل فاني قد ابليت في الحب البلاء الجميل ومع ذلك هذه يدي خالية مما تعلقت به وتمنيته من المعزة في الحب كما قال ابن الفارض

ان كان منزلتي في الحب عندكم

ما قد رأيت فقد ضيعت ايامي

(فقالت لقد ازرى بك الدهر بعدنا)

ووافاك منه مترعا كأسه المر

وصرت لما ترمي يداه رميــة

(فقلت معاذ الله بل انت لا الدهر)

« أزرى » تهاون واحتقر « مترعا » أي ملآن « رمية » أي هدفا لسهامه « والمعنى » يقول ان هذه الانسانة لما اتضح لها ان انكارها ليس الا تعنتا وانه غير خاف عليّ ورأتني

اقمت لها الادلة على معرفتها لي ارادت ان تظهر لهـا عذرا في الانكار بقولها ان الحالة التي كنت اعهدك بها قد غيرها الدهر حيث سقاك من كؤس صروفه المترعة مرّها وسدّد اليك سهام المذلة حتى افضى بك الى حال ينكرك بها كل من رآك فقلت لها معاذ الله ان الدهر ليهابني ويخشى سطوتي وما جعلني هدفا لسهام المذلة والاحتقار الا انت بِرّ صدّك وطول جفاك

(وقلبت امري لأرى لي راحة)

ترجي وغالتني الوساوس والفكر

وصرت غريقاً في بحار تحيري

(اذا البين انساني الح بي الهجر)

« غالتني » أي اغتالتني واخذتني من حيث لا ادري « البين » الفراق والبعد « الح » أي اكثر من الطلب والسؤال وتذكارى الوصل « والمعنى » يقول لما حصل في ما حصل نظرت بعين البصيرة في امري علني اجد ما يريحني من مقاساة هذا العناء فلم اجد الا نارا تضطرم في الفؤاد

وجوى بفتت الاكباد واغتالتني الوساوس والافكار حتى صرت غريقاً في بحار الحيرة فاذا انسانيها البعد شدّ عليّ النكير ما اقاسيه من ألم الهجر

(فعدت الى حكم الزمان وحكمها

وليس يخاف ان حكمهما جور

خضعت وما لي ان تظلمت منصف

لها الذنب لا تجزى به ولي العذر)

« المعنى » يقول حيث اني لم ار حيلة ولم اجد مناصا من ذلك الفناء اسلمت نفسي لها والزمان يحكمان فيّ كما شا آ على انه غير خاف ان حكمهما لا يكون الا جورا وخضعت لذلك اذ لم اجد لي منصفا لو تظلمت فاذا اذنبت لا تجازى بذنبها وقابلنا ذلك الذنب بالاعتذار عنها كما قيل

واغمض عيني ان اساء تغفلا

وأبدي له عذرا اذا هو اذنبا

وقيل ايضاً

اذا مرضتم اتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

ومن ذلك قوله ايضاً

الزمتني الذنب الذي جئته عفوت فاصفح ايها المذنب
(تجفل حيناً ثم تدنو واغا)

لها لفتات الظبي ان راعه امس
تروح وتغدو بالفلاة كأنها
(تراعي طلا بالود اعجزه الحضر)

« تجفل » بحذف اوله اصله تتجفل أي تذهب بسرعة « راعه » اخافه « تروح » الرواح الرجوع « تغدو » الغدو الذهاب « الفلاة » المفازة والارض الواسعة « تراعي » أي تنظر « الطلا » ولد الظبية « الحضر » بضم فسكون العدو وهو السير بسرعة « والمعنى ان الشاعر يصف محبوبته بانها كظبية اسرعت في الجري وتركت ابنها خلفها فلما انقطع عنها العدم قدرته على مجاراتها في سرعة الجري عادت لتطمئن عليه فلما رأته واطمأنت رجعت لما كانت عليه من السرعة في الجري وهكذا صارت تروح وتغدو كلما انقطع عنها فكذلك تلك المحبوبة تقرب منه لتريب هل هو دائم على التمسك باذيال حبها

ثم لما نطمئن عليه تعود لما كانت عليه من الصد والنفور

(واني لنزال بكل مخوفـــة)

وما راعني وعر ولا موحش قفر

وكم ساقني عزمي لارض حصينة

(كثير الى نزالها النظر الشزر)

« الوعر » ضد السهل والمراد المكان الصعب المسلك «الموحش » من الامكنة هو الذي لاانيس به « القفر » هو الذي لا نبات به ولا ماء « النظر الشزر » أي نظر الانسان مغضباً بمؤخر العين « والمعنى » يقول واني لكثير النزول بكل ارض مخيفة يعز على غيري نظرها ولم يثن عزمي ما صعب منها ولا القفر الموحش الخالي من الانيس وكثيرا ماساقني عزمي القوي لارض منيعة غير مبالي بما يكون من اهلها من النظر الشزر نظر المغضب المتأهب للفتك بالرغم عنهم

(واني لجرار لكل كتيبـــة)

بهـا كل فرد لا يقـاومه عشر

منزهة الاعن الفتك بالعدا

(معودة ان لا يخل بها النصر)

« الكتيبة » الجيش « والمعنى » يقول واني لمقدام لكل جيش عرمرم به كل بطل واحد لا يقف امامه عشر من امثاله منزه ذلك الجيش عن كل ما يشينه الا عن فتكه الاعداء قد عوّده النصر ان يكون طوع يمينه ورهين اشارته في كل آن

(فاصدى الى ان ترتوي الارض والقنا)

ويصدر عن ورد الدما الوحش والطير

واجهد حتى انثني بنفوسهم

(واسغب حتى يشبع الذئب والنسر)؛

« اصدى » اعطش « القنا » الرمح « اجهد » اعب « انثنى » ارجع « اسغب » اجوع « والمعنى » يقول اني حينما تضطرم نيران الحرب لا يصرف همتي ولا يشغل فكرتي سوى اذاقة الاعداء كاس المنون حتى اني مهما اجهدني الظما والسغب لا يروق لي الشرب حتى اروي الارض والرماح وترجع الطيور والوحوش مرتوية الفوءاد صادرة عن ورود دم

الاعداء ولا آلو جهدا حتى ارجع بارواحهم كما انه لايطيب لي عيش حتى اشبع الذئب والنسر من لحومهم وفي قوله « وجهد حتى اثني بنفوسهم » تلميح لقول عنترة

لنا النفوس وللطيور اللحوم ولا

وحوش العظام وللخيالة السلب

(ولا اصبح الحي الخلوف لغارة)

على غرة كيلا يقوم له عـذر

ولم آت يوماً خفية من قصدته

(ولا الجيش مالم ياته قبلي النذر)

« الحي » واحد احياء العرب والمراد هنا القوم « الخلوف » جمع خلف بفتح فسكون وهم كما في القاموس الذين ذهبوا من الحي ومن حضر منهم ضد « الغارة » اسم للاغارة على العدو « على غرة » أى على غفلة « النذر » جمع نذير وهو المبلغ بوعيد وتخويف « والمعنى » يقول اذا رمت ان اشن الغارة على قوم لم آتهم في وقت الصباح للايقاع بهم على غرة اى مع كونهم في غفلة ساهين حتى لايكون لهم عذر

يقدمونه اذا ظهر وهنهم عن المقاومة وغاية درجات الشجاعة
ان ينذر الشجاع قرينه في النزال كما انى لم آت يوماً من
اردت الفتك به خفيه ولا الجيش الا اذا ارسلت لليهم
نذيرا بذلك كي يستعدوا لمقاومتي .

(ويارب دار لم تخفني منيعة)

وما هي الا للذي رامها قبر

وكم دمرت اسدا فلما اتيتها

(طلعت عليها بالردى انا والفجر)

« الردى » الهلاك « والمعنى » يقول وكثير من اهل
دار ذوى منعة لم يخافوني لمنعة حصونهم التي اعدت لاعتصامهم
بها اذا فاجأهم العدو فهم لاعتصامهم وشجاعتهم لا يهابون
اي قاصد لهم بالسوء وكلما دهمهم جيش اوسعوه قتلا حتى
كأن ديارهم ما جعلت الا قبورا لمن رامها بسوء فكم دمروا
من بطل صنديد وقهروا كل جبار عنيد ومع هذا لما اتيتها
مع الفجر اذقت اهلها من كؤس الردى والدمار ما مر
مذاقه وترك بلادهم قاعا صفصفا

(وصاحبة الاذيال نحوي لقيتها)

فكان لها مني البشاشة والبشر

ولاقت كريماً دابه البر والندى

(فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر)

« الندى » الكرم « الجافي » الغليظ الطبع « الوعر » المراد به هنا صعب الخلق « والمعنى » يقول اني مع ما اتصفت به من الشدة والبسالة والطعن والنزال والفتك بالابطال فاني سهل العريكة لين الجانب عند مقتضيات الاحوال فكثيرا ما اتت الي تسحب اذيالها كل مخدرة هيفاء تشفع في قومها الذين اوقعهم بطشي في شرك الاسر فلم تر مني الا وجها بشوشا وتعطفا وحنانا بنوالها كل ما تمنته ولم اك جافي الطبع غليظ القلب صعب المرام بل سهل النوال وقد استدل على ذلك بقوله

(وهبت لها ماحازه الجيش كله)

وما شاب هذا الجود من ولا فخر

ولم يك الا ان بشثت وودعت

(ورحت ولم يكشف لابياتها ستر)

«شاب» أي خالط «والمعنى» يقول انه زيادة عما قابلها به من البشاشة ولاقته من البشر فقد وهب لها ما سلبه جيشه من قومها بدون ان يخالط ذلك الجود من عليها ولا افتخار ولم يكن ذلك لرجاء شيء منها بل من كرم سجاياه وحسن مزاياه حيث لم يكن منه الا ان بش في وجهها حين نوالها ما طلبته وتركها ومضى بعد ان ودعته من غير ان ينالها منه ما تأباه النفوس الابية ويؤخذ من هذه الابيات معنى دقيق حيث انها تشعر بانه حينما يحارب لا يترك في الدار التي ينزل بها رجلا بل يفني الرجال عن آخرهم حتى تضطر اذ ذاك المخدرات الى التماس العفو عن الاسلاب وحيث انه لم يقصد من حربهم الا قبض نفوسهم فقد هان عليه بذلها

(ولاراح يطغيني باثوابه الغنى)

فزينته عندي التواضع والشكر

وما انكر العافون مني سماحة

(ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر)

«العافون» الفقرا المدمون «يثنيني» يرجعني «والمعنى» يقول اني لست ممن تزعزعه حوادث الدهر ولا ممن تلعب بلبه يد الغواية والطغيان عندما ينيخ الغنى مطاياه ببابي وان كان يطغي الانسان بنص الكتاب «ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى» وقيل

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أيّ مفسده

فان زينة الغنى عندي انما هي التواضع والشكر كما انه لم يثن عزمي عن البذل والعطاء مدقع الفقر ولهذا لم ينكر المعدمون مني حين وفودهم عليّ وافر السماحة وكمال الترحيب

(وما حاجتي بالمال ابغي وفوره)

ولا همني عسر ولا سرني يسر

ولم ابغ الا وفر عرضي فانني

(اذا لم أفر عرضي فلا وفر الوفر)

«الوفر» كثرة المال ووفر العرض صيانته «والمعنى»

يقول اني لا تتوجه عنايتي ولا تنصرف همتي لجمع المال الزائد عن حاجتي ابتغاء الكثرة حيث يستوي عندي العسر واليسر فلا يهمني الاول ولا يستوي الثاني ولكنما جل مأربي من جمع المال انما هو صيانة عرضي بكل ما يمكنني فلاجعل الله لي حظا في كثرة المال اذا لم أصن به عرضي

(امرت وما صحبي بعزل لدى الوغى)

وكم من صدى صوتي ليوث الشرى فروا

وما احد في الحرب يجهل سطوتي

(ولا فرسي مهر ولا ربه غمر)

«العزل» جمع أعزل وهو المجرد من السلاح «الوغى» الحرب «الصدى» هو الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها «الشرى» مأوى الاسد «الغمر» الجاهل الذي لم يجرب الامور «والمعنى» يقول لم تزل همتي تخاطر بي رغبة في اجتناء ثمار المعالي لا يثنيها عن عزمها خطر الحروب وما تقاسيه من المحن والكروب حتى اوقعتني صروف الدهر في ربقة الاسر مع أن قومي على تمام الاهبة والاستعداد من

العدد والعدد ولم يكن فرسي صغيرا يهاب التوغل في ميدان الهيجـاء حتى لا يطاوعني في الكرّ والفر ولم أك جاهلاً بمواقع الطعن والنزال والفتك بالاعداء فكم من اسود تخشاها الابطال تفرّ اذا سمعت صدى صوتي من بعد ولا تقدر على مقابلتي كما ان صطوتي في الحرب اشهر من الشمس في رابعة النهار ولا يجهلها احد

(ولكن اذا حم القضاء على امرىء)

يكون ولا يغني من القدر الحذر

ومن رام من امر الاله وقاية

(فليس له برّ يقيه ولا بحر)

« حم » أي قدر « والمعنى » يقول حيث علم ما انا عليه وصحبي من الخبرة والاستعداد وتمام الاهبة وغير ذلك مما لا يمكن يد الاعداء من الوصول الى حصني المنيع وشرفي الرفيع لم يك اسري الا بمحتوم القضاء ومبروم القدر الذي لا يقاوم بقوة ولا تنفع معه حيلة مهما بلغت ولا ينجي منه حذر ولا تدبير ولا يدفعه الا ذو اللطف الخفي الذي يقضي

بما يشاء ويحكم بما يريد فمن حق عليه محتوم القضاء ورام بحوله وقوته وقاية منه لا يجد ملجاء يقيه ولا مكانا يؤويه فالله يحكم لا معقب لحكمه

(وقال أصيحابي الفرار او الردي)

فبالذل بعد العز قد قضى الامر

فاما التولي أو تمزقنا العدا

(فقلت هما أمران احلاهما مر)

(المعنى) يقول لما تحققنا انه لا مفر من القضاء ولا سبيل في ذلك الحين لمقاومة الاعداء قال أصحابي أمرنا دائر بين أمرين اما ان نفر قبل تمكن الاعداء منا ووقوعنا في مهالك الاسر او نثبت مكاننا ونصبر على تجرع كاس الردى فقد قضى الامر بالذل بعد العز وبالتقهقر بعد التقدم فقلت ان كلا الامرين مر المذاق واسهلهما صعب على النفس

(ولكنني امضى لما لا يعيبني)

وما ليس فيه قط عار ولا وزر

وأختار اسري لا الفرار مخافة

(وحسبك من امرين خيرهما الاسر)

(المعنى) يقول لما خيرني اصحابي بين هذين الامرين اللذين كلاهما صعب على النفس الابية اخترت الثبات ووقوعي في يد اعدائي أسيرا على ما في ذلك من المذلة وتحمل الضيم

وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول

ولم ترض نفسى الابية بالفرار الذي يكسب الوزر والعار وناهيك بامرين خطيرين خيرهما الوقوع في ربقة الاسر

(ولا خير في دفع الردى بمذلة

اذا لم يكن عز فان الردى خير

ومن يرتضي رد الردى بمعرة

(كما ردها يوما بسوانه عمرو)

(المعنى) يقول اني آثر الاسر على الفرار وان كان فيه ما فيه من الصعوبة والمشاق لا ليس فيه تحمل عار ولا هبوط شرف ولا خير في دفع الهلاك عن المرء بشيء يوجب الذل والاحتقار حتى اذا لم يستطع الانسان ردما يعتوره

ويتابه من الخطوب مع حفظ ناموسه ورفعة مكانته كان الاولى ان يسلم نفسه وديعة بأيدي المنون ومن ذا الذي يرضى بأن يدفع عن نفسه الردى بما يجلب لنفسه المعرة ويلبسها ثوب المذلة كما فعل ذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه على ما في بعض التواريخ حينما تمكن منه سيدنا على بن ابي طالب كرم الله وجهه وهم بقتله فلم يقدر عمرو على التخلص من ذلك الا بكشف سوأته لعلمه ان سيدنا عليا كرم الله وجهه يكف عنه بذلك حيث انه لم ير سوأة قط ولهذا قيل فيه كرم الله وجهه

(يمنون ان خلوا ثيابي وانما) هم جهلوا ان المهابة لي ستر
على انهم ان جردوني فانني (على ثياب من دمائهم حمر)

« المعنى » لما لم يجد أعدائي منة يمنون على بها ولا شيأ يفتخرون به ارادوا ان يجعلوا لهم فضلا صورة بكونهم تركوا ثيابي على ولم ينزعوها مني ولم يمنوا على بذلك الا لجهلهم بأني غني عن تلك الثياب التي يمتنون بابقائها على لانهم ان جردوني فان عليَّ من المهابة والجلال مـا يسترني عن

اعين الناظرين وعلى ثياب اخرى من دمائهم فاذا يستوى
عندي نزع ثيابي وابقاوها حيث ان جسمي لا يعري بنزعها
ولا يستتر بها اذ هو مستور بغيرها

(وقائم سيف فيهم دق نصله
فلم يك الا مـا به نفد العمر

وصائب سهم للقلوب ممزق
(واعقاب رمح فيهم حطم الصدر)

« المعنى » يقول كيف يمتنون على بكونهم لم ينزعوا عني
ثيابي الملطخة بدمائهم وكثيرا مادق نصل سيفي في ابدانهم
وبقيت قائمته بيدي من احكام الضربة وكثيرا ما بقيت
في يدي قطع من رمحي التي كسرت وفي اجسامهم بقاياها
وطالما مزقت قلوبهم بسهام انتقامي فلم يكن الا ان انقضت
بها اعمارهم فكيف يروق لاعينهم الافتخار والامتنان على
بابقاء ثياب لاحاجة لي بها

(سيذكرني قومي اذا جد جدهم
وتشتاق لي البيض الفواتك والسمر

فاني بدر كلما الحرب اظلمت

(وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)

« المعنى » يقول اذا اتقدت نيران الحروب بين قومي واعدائهم واشتد الامر عليهم فانهم في ذلك الحين يذكرونني لما يعلمون في البسالة والاقدام وتشتاق لي ايضاً السيوف المشرفية والرماح السمهرية فاني كلما اظلمت ليلة ساحة القتال كنت انا بدرها فهم لا يتذكرون مقداري ورفعة شأني ومكانتي الا اذا اشتد بهم الكرب كما ان البدر لا يفتقد ويطلب الا في الليلة الظلماء

(ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به)

وهل صدف مجدي اذا فقد الدر

فلو كان ذا لم يفضل الزيف جيد

(وما كان يغني التبر لو نفق الصفر)

« الزيف ضد الجيد والفلوس المغشوشة الغير الرائجة « التبر » ما كان غير مضروب من الذهب « الصفر » بالضم ما يعمل منه الاواني من النحاس « والمعنى » يقول انه لو وجد

عند قومي من يقوم مقامي في الحروب ومقاومة الاعداء لما ذكروني وكانوا يكتفون به ولكني انا واياهم كالدر والصدف ولا قيمة للصدف اذا كان خلوا من اللؤلؤ حتى تحلى به الجياد العاطلة اذا فقد الدر والا لما كان الجيد يفضل الزيوف الغير الرائجة ولا كان التبر يغني صاحبه اذا كان النحاس الاصفر مساويا له في القيمة والزواج مع قلة التبر وكثرة النحاس الاصفر سنة الله في خلقه

(ونحن اناس لا توسط بيننا)

فنأنف ان يرقي مراتبنا الغير

وأحسابنا نقضي علينا بأننا

(لنا الصدر دون العالمين او القبر)

« الاحساب » جمع حسب والحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه وقيل الحسب المال والدين « والمعنى » يقول نحن قوم في علو الشرف ورفعة القدر كالحلقة المفرغة التي لا يدري أين طرفاها فليس فينا رفيع ووضيع بل نحن قوم أعظم الناس رفعة وأرفعهم مكانة وأجلهم مقدارا وأعظمهم

نخارا فتأبي نفوسنا وتأنف من ان يرقي مراتبنا غيرنا اذ لا يساوينا احد في السيادة وعلو الدرجة فاما ان نعيش صدورا دون العالمين واما ان نموت ونقبر ولا واسطة لنا بين هذين الامرين كما تقضي علينا احسابنا بذلك

(تهون علينا في المعالي نفوسنا)

وتبذل في درك العلى نفسه الحر

وما عز شيء دونه الروح في العلى

(ومن خطب الحسناء لم يغلها مهر)

«المعنى» يقول انا اناس لا نرى شيأ يعز علينا بذله في الوصول الى ادراك العلى حتى ان الروح التي هي اعز شيء نجود بها طائعين في طلبه لاننا احرار فلا تعز الارواح لدينا في اقتناء الشرف الخالد واجتناء الطريف منه والتالد حتى لو كان هناك شيء اعز من الروح لجدنا به وما عز لدينا لان الذي يخطب الحسناء لم يمنعه من الحصول عليها غلو المهر وهذا يحاكي قول بعضهم

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله

ومن يخطب الحسناء يسمح بالبذل

ومن لم يذل النفس في طلب العلى

يسيرا يعش دهرا طويلا على الذل

(اعز بني الدنيا واعلى ذوي العلى)

وملجأ من اخنى على جاهه الدهر

واطيب من في الارض فرعا ومحتدا

(واكرم من فوق التراب ولا فخر)

« اخنى » اي مال واعتدي « المحتد » الاصل « والمعنى » يقول انا لما امتزنا به بين افراد هذا العالم من علو الهمة وشرف النفس والدأب وراء ما يحيي المرء اذا مات الجسد ويبقى الذكر اذا بلي اللحم كنا اعز بني الدنيا واعلى من سعوا وراء المعالي الذين هم كما قيل

فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم

وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

وكنا الملجاء الذي ظفر من قصده ممن اناخ عليه الدهر
واطيب من في الارض اصلا وفرعا واكرم الناس بذلا
واقربهم منالا وقد قال ولا فخر مع ان هذا غاية
الاطراء تحدثا بالنعمة والحمد لله التمام والصلاة
والسلام على من هو للانبياء ختام

الكتب

لكتب فائدة محسوسة يشعر بها كل ذي ذوق سليم فهي رسل الافكار تهدى من يدرك سرها الى صراط مستقيم فلها الشرف بما حوته من تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق وفيها انفس ما علق وافضل ما نمق وفيها (كتاب) مكنون لا يمسه الا المطهرون

ولما كانت الكتب تنقسم الى ثلاثة اقسام القسم الاول الشريعة الاسلامية ومنها كتب المذاهب الاربع والثاني ومنه اداب اللغه العربية وفلسفة الاخلاق والقسم الثالث ومنه الكتب الموضوعة والاحاديث المصنوعة والقصص الخرافية والسخافية وهذا القسم يجمع في دائرته شطرين من القراء ولما كان فضل الكتب لا يعد كان من سيئاتها كتب لا تعد لذلك عنّ لي ان اتبع حسناتها واقوم بطبع فوائد الكتب النافعة ومن مطبوعاتنا الجليلة الكتب الاتية

السيرة النبوية

تشتمل على سيرة سيد المرسلين وتاريخ الخلفاء الراشدين صنفها الاستاذان الفاضلان الشيخ عبد الحميد الشافعي والشيخ محمد الخضري والكتاب يحتوي على كثير من المباحث التاريخية كخلافة يزيد وما كان من مقتل الحسين كل ذلك بتفصيل واف وبجملا الكل قاريء تصفحه وثمنه غرشين صاغ

الملل والنحل

لحجة الاسلام محمد ابى حامد الغزالي وهو كتاب فلسفي جليل الفه حجة الاسلام يقارع به الزنادقة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان وانتقاده على المتشيعين المدلسين كل ذلك بقوة الفكر واستدلاله بالادلة العقلية والنقلية وثمنه غرشين صاغ

شعراء الجيل العشرين

يشتمل على ترجمة حياة المرحوم محمود باشا سامي البارودي

وشعره الرقيق وهو الجزء الاول من حسنات الكاتب المجيد
عز الدين افندي صالح وثمنه غرشان صاغ

﴿ منتخبات نديم ﴾

يشتمل على اهم افكار الاستاذ السيد عبدالله نديم اودع
فيه من ايات الحكم ما يدل على حسن فكرته وكفى نديم
شهرة في عالم الاداب فنحث القرأ على مطالعته لما فيه من
الحكم وثمنه غرش صاغ

﴿ التنكيت والتبكيت ﴾

محاورات تهذيبية علمية بلغة عامية من حسنات السيد
عبدالله نديم وثمنه غرش صاغ

« اسرار القصور »

رواية اخلاقيه علميه مصريه تبحث في الجن والمندل
والزار وفيها بحث في التنويم وافكار في الروح كل ذلك بمعنى
جلي يفهمه القاريء وثمنه غرش صاغ

« الاخلاق والامم »

كتاب اخلاقي يشتمل على مباحث في الهيئة الاجتماعية

وبه كثير من الافكار العالية والدرر الثمينة وثمنه ثلاثة غروش صاغ

« دار التهذيب »

يشتمل على سر المصريين واسباب تأخرهم وهو من افضل المؤلفات العصريه لما فيه من الحسنات وثمنه غرش صاغ

« تهذيب المرأة »

يشتمل على مباحث قياسية بين الامرأتين الشرقية والغربية وهو من تأليف السيدة ملك كريمة حضرة (حفني ناصف بك) والشهيرة باسم (باحثة البادية) وثمنه غرش صاغ

« المرأة في الاسلام »

وهو كتاب جدلي يشتمل على مباحث عمرانية اجتماعية وكل جدله يدور حول المرأه والحجاب وهو من تأليف الكاتب البليغ والشاعر المجيد عبد الحميد افندي حمدي النشار وثمنه ٨ غروش

« شرح معلقات العرب »

يشتمل على السبع معلقات مع اضافة ثلاث معلقات

العرب وايجاد حل الفاظها العربية وثمنه اربعة غروش صاغميري

« الترجمان »

في لغات الانجليز والافرنسيس والاطليان . وهو سهل العبارة يمكن لكل قارىء التعليم منه ولا سيما لان لغاته مكتوبة بالرسم العربي مع ترجمته باللغة العربية تأليف حضرة خالد افندى خطاب وثمنه ثلاثة غروش صاغميرى

ويوجد بطرفنا الكتب والروايات الآتية ايضاً

٥ شرح ديوان ابن الفارض

٢ » » »

١٠ مقدمة ابن خلدون

٨ الامامة والسياسة

١٠ كليله ودمنه مشكول

١٥ سقط الزند للمعري

٢ فلسفة الفارابي

